



سلسلة من هدى الإسلام

محاضرات

٢

الثورة الحسينية

آية الله العظمى
السيد محمود الهاشمي (دام ظله)





محاضرات في الثورة الحسينية

مشخصات الكتاب

- اسم الكتاب : محاضرات في الثورة الحسينية
المؤلف : آية الله العظمى السيد محمود الهاشمي (دام ظله)
الناشر : مكتب آية الله السيد محمود الهاشمي/ النجف الأشرف
العدد : ٥٠٠٠
المطبعة : الأميرة

بَحْمِيَّةُ الْحَقِّ وَهُوَ مَحْفُوظَةٌ
الطَّبْعَةُ الْأُولَى
١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م



دارالأميرة ولائمة ولائمة
بيروت - لبنان

هاتف: ٠٣/٩٤٦١١١ - ٠٣/١١٥٤٢٥ - فاكس: ٠١/٢٧١٩٨٨

<http://www.Dar-Alamira.com>
e-mail: zakariachahbour@hotmail.com

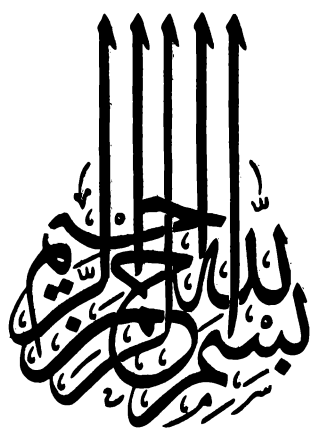
محاضرات في الثورة الحسينية

لآية الله العظمى

السيد محمود الهاشمي «دام ظله»

تأليف

الأمانة العامة
للإفتاء والبحوث والدراسات الإسلامية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

تتضمن هذه الحلقة مجموعة من المحاضرات التي ألقاها سماحة آية الله العظمى السيد محمود الهاشمي «دام ظله» في شهر محرم الحرام وقد أتت بتحليل علمي ومنطقي للتحرك السياسي والاجتماعي والرسالي التاريخي للإمام الحسين عليه السلام والتي جسدها في ثورته وقيامه المبارك مع ثلة من أهل بيته وأصحابه مجسداً الرسالة بكل معانيها، والشريعة بكل قيمها، حتى ضرب المثل الأعلى في الكمال الإنساني. وبلغ الذروة في تجسيده الصادق لمثل السماء. فأصبح النموذج الأوفى للإنسان الذي تريده السماء بكل مزاياه وأبعاده.

لقد أوضحت هذه المقالات لسماحة السيد «دام ظله» ماهية الثورة على حقيقتها، وبينت السر المحرك لها بكل

جلاء. وأقامت الدليل على كمالها ورشدها، وراحت
تستشف من مناهلها الزاد الأوفى للركب الإنساني المتعطش
للقيم والمثل المجسدة.

فسلام على الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب
الحسين وعلى أنصار الحسين، ما دامت الدنيا، وما دام هذا
العطاء حياً مجدداً في ضمير الأمة ونبض التاريخ.

مكتب

سماحة السيد محمود الهاشمي
النجف الأشرف



المحاضرة الأولى ١٤٠٣هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تحدثنا عن مبدأ المودة في القربى وانتهينا من هذا المبدأ إلى فهمنا العام لدور الأئمة ودور الأوصياء والرسول من صيانة الرسالة الإسلامية والأمة الإسلامية، وبعد شرح وجيز لهذا المعنى العام، قلنا إنه بمناسبة ليالي هذا الشهر الحرام، من المناسب أن ندخل في موضوع حركة الإمام الحسين عليه السلام.

إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام كما أشرنا بالأمس مدرسة ذات أبعاد وجوانب عديدة فيها كل معاني البطولة والفداء والقيم الرسالية حيث يستطيع الإنسان أن يستخلص من هذه الثورة المباركة ومشاهدها ومراحلها وفصولها كل دروس القيم الإنسانية والرسالية وكل المعاني الخالدة والسامية التي بشرت بها الرسالات الربانية والسماوية، كلها يستطيع أن يجدها مجسدة ومطبقة من قبل هذا الإمام العظيم، من قبل أصحابه وأهل بيته، لذلك قلنا نحن لا نستطيع أن نستوعب

كل أبعاد هذه الثورة المباركة وعقولنا وإدراكاتنا أقصر من أن نستطيع أن تلم بكل هذه المعاني والدروس والعبر، لذلك فلا بدّ وأن تقتصر على بُعدٍ وجانب من أبعاد هذه الثورة بالمقدار الذي نتمكن منه، وأيضاً بمقدار الفرصة الزمنية التي تساعد عليه. نقتصر على دراسة الوجه الاجتماعي لهذه الثورة والجانب الاجتماعي منها.

المراقبون لهذا الوجه الاجتماعي من حركة الإمام الحسين عليه السلام والباحثون في هذا الجانب من ثورته، اختلفوا من ناحية تفسيره وشرحه إلى مذاهب واتجاهات وتفسيرات متعددة ومتباينة وهذا ليس بالغريب، فالشخصية العظيمة غالباً ما تختلف في تفسيرها وتحديد أبعادها... وكثير من عظماء تاريخ الإسلام وقع هذا الاختلاف بين الباحثين في شخصيتهم وتفسير أعمالهم ومواقفهم.

نحن من أجل أن نحدّد موضوعات الحديث في هذا البحث الاجتماعي عن حركة الإمام الحسين عليه السلام، نستطيع أن نعطي فهرسة لأهم الجوانب من دراستنا لهذا الوجه الاجتماعي من ثورة الإمام الحسين عليه السلام ولا أدري هل سنوفق لإكمال دراستها في هذه العجالة أم لا؟

وفيما يلي لمحة عن أهم وأبرز العناوين:

- ١ - دراسة دوافع الثورة الحسينية وأسباب هذه الحركة التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام.
- ٢ - دراسة طبيعة الثورة.
- ٣ - دراسة مراحل الثورة.
- ٤ - آثار الثورة ونتائجها.

◀ دوافع الثورة الحسينية:

لا بدّ لأي باحث اجتماعي وتاريخي لقضية الإمام الحسين عليه السلام أن يتعرض لبعض الفصول المهمة ويعطي النظرية الصحيحة لكل فصل منها ويدعمها بالشواهد والأدلة والأرقام التاريخية.

نبدأ بالفصل الأول والذي يطرح ما يلي: ما هي دوافع الثورة الحسينية؟ وما هو هدف الإمام الحسين عليه السلام من خلال عملية التغير الاجتماعي التي كان يريدتها، وما هي الدوافع الكامنة لديه؟ وما هي العلل الغائية باصطلاح الفلاسفة التي دفعته وحملته ليتحرك هذه الحركة العظيمة الخالدة ويثور وينهض بهذه الثورة وبالشكل الذي تعرفونه من الامتيازات والخصائص مما جعلها ثورة فريدة لا نظير لها في

تاريخ الثورات والحركات والعمليات التغييرية الاجتماعية وحتى عمليات الأنبياء وأوصياء الأنبياء عليه السلام لا توجد عملية أو حركة اجتماعية تشابه تلك العملية التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام فهي عملية فريدة في نفسها ومختصة بخصائص تميزها عن غيرها. فعملية ثورة الإمام الحسين عليه السلام عملية أشبه ما تكون بحسب مظهرها عملية انتحارية وكأنها إمام معصوم كامل، قذفاً عقل الناس، وأرشد الناس وأرجح الناس عقلاً ومقاماً هو من يقوم بعملية من هذا القبيل، فماذا كانت الدوافع من وراء هذه العملية؟؟؟

يوجد عادة اختلاف في التفسيرات التي تطرح في هذا الجانب وفي هذا الفصل بالذات في تبين دوافع الحركة الحسينية والثورة الحسينية، إلا أنه بالإمكان في البداية تصنيفها إلى صنفين :-

الصنف الأول: التفسيرات التي أُعطيت من بعض المستشرقين ومن بعض المسلمين، ومن بعض الحكام أنفسهم في زمن الإمام وبعده، وبحسب رأيي هي تفسيرات باطلة أي التي تكون غير صحيحة لأنها غير منسجمة مع طبيعة معتقدنا وتصوراتنا عن الإمام الحسين عليه السلام، قسم من هذه التفسيرات نَصِفُها ونجعلها في عداد التفسيرات الباطلة

الخاطئة التي نشأت، إما من أغراض أو أمراض جزءاً من الأدوار التي يقوم بها الحكام المنحرفون وتقوم بها السلطة من أجل مسخ هذه الثورة المباركة والحد من عطائها وآثارها في الأمة، فحاولوا تقديم تفسيرات وتحليلات وتبريرات عن موقع الإمام الحسين عليه السلام من السلطة وسبب خروجه، بينما قسم آخر من هذه التفسيرات الباطلة ناتجة من أغراض من هذا القبيل: نوايا سيئة نجد بذورها منذ زمن الحكام الأمويين، وقد نجد الباحثين المتأخرين قد تأثروا بتلك الكلمات التي يجدونها مبثوثة في بعض التواريخ فحاولوا الاستناد والاعتماد عليها ليعطوا تفسيرات من هذا القبيل، وقسم من هذه التفسيرات الباطلة قد تكون ناتجة من أن أصحاب التفسير والتحليل التاريخي لقضية الإمام الحسين عليه السلام كما قلنا بالأمس بعيدون عن مدرسة الإمام الحسين عليه السلام وعن مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وبعيدون عن حقيقة هؤلاء، حقيقة الأئمة ومعنى الإمامة فهم لا يدركون بُعد هذه الخصوصيات لكونهم ليسوا مسلمين أو من الشيعة فيكون من الطبيعي أن يخطر في ذهنهم تفسير من هذه التفاسير التي نعتقدها نحن بحق الأئمة عليهم السلام وحق الإمام

تفسيراً باطلاً وخاطئاً، هنا نستطيع أن نشير إلى تفسيرين مشهورين في هذه القائمة قائمة التفسيرات الباطلة والمنحرفة، ربما يجدها الإنسان في بعض الكتب التاريخية وبعض الدراسات الاستشراقية.

◀ التفسير الأول:

هو تفسير على أساس قبلي وعشائري، فسرت قضية الإمام الحسين عليه السلام لبعض كتب التاريخ وبعض كتب الاستشراق أيضاً على أساس هذه الحركة والثورة ما هي إلا حلقة من حلقات تاريخ صراع قبلي بين قبيلتين، هذه حلقة من حلقات ذلك الخط التاريخي من الصراع بين قبيلة بني هاشم وقبيلة بني أمية منذ زمن هاشم وأمية وإلى زمن ما بعد الإمام الحسين عليه السلام يحاولون أن يفسروا القضية على أساس حلقة في سلسلة هذا الصراع الممتد بين القبيلتين فالقبيلتان مثلاً كانتا متصارعتين على الواجهة والزعامة في مجتمع مكة مثلاً والحجاز، ثم البيت الحرام والامتيازات الأخرى التي كانت موجودة هناك، والقضايا الأخرى، ثم بعد انتصار الإسلام وانتقال النبي ﷺ وانتقال السلطة والواجهة والزعامة والنفوذ الاجتماعي إلى قبيلة بني هاشم حيث إن

رسول الله ﷺ من بني هاشم واندحار تلك القبيلة وخسارتها أمام تلك القبيلة حاولت تلك القبيلة أن تعكر بامتيازات بما انتهت إليه قبيلة بني هاشم فدخلت الإسلام مكرهة وحاولت من الداخل وبأساليب نفاقية مثلاً من داخل المجتمع الإسلامي أن تصارع ضررتها القبيلة الأخرى وفعلاً صارعها وحاولت الاستيلاء على الحكم عن طريق معاوية بن أبي سفيان، أخذت من جديد الحكم والنفوذ والسيطرة على المجتمع العربي آنذاك، ويحاولون أن يستشهدوا بهذا بالتفسير والأشعار والقصائد التي تؤثر، وقد أنشدوا بعض الشعراء أمثال الأخطل وغيره من شعراء السلاطين في تصوير هذا الصراع، أو بعض الأشعار التي ذكرها بعض السلاطين والحكام الجاهلين أنفسهم أشعار يزيد مثلاً.

شواهد من هذا القبيل في كتب التاريخ مبثوثة هنا وهناك استشهدوا بها على أن الصراع كان واقعه صراعاً قبلياً، وأيضاً يعززه بأن مجتمع المسلمين رغم مجيء الإسلام ومجتمع العرب آنذاك كان يسوده النظام القبلي بحسب الحقيقة، وكانت مشايخ العرب وشيوخ القبائل هي الطبقة الحاكمة على المجتمع العربي حتى بعد مجيء الإسلام وهذا

النظام القبلي والعشائري لم يتم ذوبانه مطلقاً حتى بعد مجيء الإسلام وتأكيد الإسلام على القيم الإيديولوجية الخاصة، بل بقيت هذه العشائر وأعرافها وأمزجتها وطبيعتها لها الدور البالغ في تسيير الأمور الاجتماعية والسياسية. وهؤلاء الحكام كانوا من خلال رؤساء العشائر يحركون هذه العشائر، معاوية مثلاً كان يستميل للعشائر، عشائر مضر واليمن وغيرهم وكان يحاول استغلال هذه النفسيات والأنظمة العشائرية التي كانت لا تزال باقية في نفوس الناس، يستغلها ويستفيد منها في تثبيت حكمه وأغراضه وأهدافه، كان يميز بين العشائر في العطاءات والمواهب، ويقرب هذه العشيرة ويبعد تلك.

إذن المجتمع بحسب الحقيقة لم يخرج عن كونه مجتمعاً عشائرياً وقبلياً يمارس نظام العشيرة ومنطق العشيرة سائد ورائج فيه.

إذن فمن المعقول أن يكون هناك أثر لهذه الروح القبلية الموجودة بين العشيرتين . . . هذا تفسير يفسر القضية على الأساس القبلي والتاريخي الموجود بين العشيرتين. وهذا مما لا يمكن القبول والمساعدة عليه بأي وجه، هذا التفسير

مبني على قاعدة ترفض الإيمان بحسب الحقيقة، وتعتبر الإمام الحسين عليه السلام والأئمة الأطهار والنبى محمد صلى الله عليه وآله تعتبرهم جميعاً منطلقاتهم منطلقات من هذا القبيل، هذا يرجع إلى عدم الإيمان بنبوة الرسول وصدق الرسول والأئمة فيما كانوا يفصحون عنه ويبينونه من رسائل ومن مفاهيم ومن قيم كلّها ترفض بشدة أمثال هذه المقولات والتحليلات وتشجب هذه الأمور...

إذن فمن ناحية المعتقد هذا تفسير يتنافى مع أصل العقيدة الإسلامية فضلاً عن العقيدة الخاصة في حق أهل البيت عليهم السلام الذين طهرهم الله وأذهب عنهم الرجس وهذا معنى من معاني الرجس أن يكون دوافعه ومنطلقاته عشائرية قبائلية جاهلية هذا من الناحية العقائدية.

أما من الناحية التاريخية الواقعية عندما يراجع الإنسان التاريخ يجد أن هذا التفسير لا يمكن أن يقبل حتى لو قطعنا النظر عن الجانب العقائدي والديني في هذه المسألة... فملاحظة التاريخ ودراسة ما وقع في التأريخ الإسلامي دراسة علمية موضوعية، تكشف للإنسان الموضوعي العلمي بأقل التفاتة، أن هذا الصراع بحسب الحقيقة لا يمكن أن يكون

صراعاً بين قبيلتين ويكون صراعاً دوافعه الحقيقية أحاسيس عشائرية أو قبائلية أو شيء من هذا القبيل، كيف وأن النبي ﷺ بحسب تاريخه أول من عارض هذه الفكرة وطبقها في حق نفسه في وضعه الخارجي ومجتمعه، حيث شجب كل هذه الأنظمة الجاهلية، وكل هذه التصورات القبلية وركز خلافها وعمق خلافها في النفوس، فسلمان الفارسي يجعله محمدياً^(١) بينما أبو لهب يجعله كافراً هل هناك رقم أوضح من هكذا دلالة على أن عمل النبي ﷺ وطرأز سلوك النبي وتفكيره لم يكن عشائرياً؟؟؟ دعنا عن الوحي وعن السماء وعن الله وعن مسائل النبوة، النبي ﷺ كإنسان كان له وجود في التاريخ وكان له دور غير إقامة المجتمع عندما نلاحظ سيرته ومنهاجه كإنسان أيضاً يفهم من أنه كان من أشد المعارضين لهذه النزعة العشائرية والقبلية، وكانت أعماله كلها ضد أمثال هذه الأفكار والقيم الجاهلية.

وأيضاً قضية الإمام الحسين عليه السلام بذاتها فيها شواهد من هذا الشيء، فالإمام عليه السلام عندما قام ونهض لو كانت المسألة مسألة قبيلة وعشيرة كان ينبغي أن ينهض بعشيرته قبل

أن ينهض بالغرباء البعيدين عن عشيرته . . . كان ينبغي أن ينهض في موطن عشيرته وهو الحجاز، فبنو هاشم لم يكونوا في الكوفة ولا في البصرة بل كانوا في المدينة ومكة فلو كانت المشاعر العشائرية والقبلية هي الدوافع لهذه الثورة كان ينبغي أن تنطلق هذه الثورة من مهد تلك العشيرة ومن خلال سواعد تلك العشيرة بينما المسألة لم تكن بهذا الترتيب لا الحركة بدأت من موطن تلك العشيرة ولا المتحركين بهذه الحركة كانوا من أصحاب هذه العشيرة بل أكثر أصحابه الذين قتلوا مع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء لم يكونوا من بني هاشم لا مسلم بن عوسجة ولا حبيب بن مظاهر ولا زهير بن القين كانوا هاشميين . . . أصحاب الإمام الحسين عليه السلام الذين قتلوا بين يديه لم يكونوا كذلك . . من دعا الإمام الحسين عليه السلام إلى الثورة من الذين أرسلوا الكتب والرسول إلى الإمام الحسين عليه السلام يطلبون منه المجيء إلى العراق فإن لك فيها جند مجندة قد أينعت الثمار^(١) لم تكتبها عشيرته الهاشميون بل كتبها موالون للإمام الحسين عليه السلام ومحبون له دفعتهم إلى الاستنجاد بالإمام الحسين عليه السلام

(١) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طائوس: ٢٤.

والبيعة معه ودعوته إلى الكوفة، دفعتهم إلى ذلك عقيدتهم بالإمام الحسين عليه السلام.

منطلق المسألة ودوافعها كان دافعاً عقائدياً وإيديولوجياً ولم يكن دافعاً قليلاً وعشائرياً.

إذن فهذا التفسير مرفوض أولاً عقائدياً أي من ناحية معتقدنا الإسلامي لا يمكن أن نوافق على تفسير من هذا القبيل أو أي تفسير يشبه هذا التفسير، ومرفوض ثانياً علمياً من خلال مراجعة واقع التاريخ الذي وقع منذ انتشار الإسلام وإقامة الحكم الإسلامي على يد النبي ﷺ في المدينة وإلى أن ثورة الإمام الحسين عليه السلام لا تساعد على قبوله طبيعة الأشخاص الذين كانوا مع الإمام الحسين عليه السلام ورافقوه وأيدوه ولا طبيعة الحركة نفسها أي اتجاه التحرك فإنها لا تساعد عليه بأي وجه من الوجوه. وأيضاً لا تساعد عليه تصريحات الإمام الحسين عليه السلام. فالإمام عليه السلام أيضاً له تصريحات يشرح لماذا خرج لم يقل خرجت لأن عشيرتي كذا وعشيرة بني أمية كذا، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله ﷺ ^(١). الهدف الذي يبينه صريح

وواضح بأنه هدف رسالي مبدئي وليس هدفاً قليلاً أو شيئاً من هذا القبيل. إذن هذا التفسير مرفوض من جميع الجهات والوجوه وهو من تضليلات السلطة الحاكمة نفسها بعد أن هُزّت بعملية الإمام الحسين عليه السلام وتزعزعت أركانها، وكذلك السلاطين والحكام الذين كانوا يأتون بعد قضية كربلاء كانوا يجدون أن قضية الإمام الحسين عليه السلام لا تزال تمتلك ضمير الأمة ووجدانها ولا تزال حية في النفوس، هذه القضية بهذه الضخامة والتي تعتبر أضخم قضية إلى يوم القيامة لا بدّ أن يعطوا لها تفسيراً وقد أعطوا هذا التفسير لكي يبرروا بعض التبريرات لبعض أعمالهم ويغطوا الجانب الحقيقي جانب الانحراف العقائدي أو الانحراف الرسالي الموجود لديهم، كي لا تقول الأمة إن الإمام الحسين عليه السلام عندما خرج على هؤلاء كانوا لا يستحقون أن يكونوا خلفاء، هؤلاء ليسوا مسلمين أصلاً أو على مستوى أن يحكموا المسلمين من أجل أن يبعدوا أذهان الناس عن طبيعة دوافع الثورة الحسينية، ومن أجل أن يضلّلوا أفكار الناس ويوجهوها إلى نقطة أخرى حاولوا أن يخلتقوا هذا التفسير، إن المسألة مسألة صراع بين قبيلتي بني هاشم وبني أمية... وعلى كل حال إن كلا القبيلتين أبناء عم هذا يحكم أو ذاك

يحكم ليس بهم من أجل أن يصرفوا الأذهان من أن تتوجه إلى هذه الثورة أو هذه الحركة العظيمة إنما كانت من أجل هؤلاء المفسدين في الأرض، فالحكام الفاسدون لا يصلحون أن يكونوا حكاماً للمسلمين... هذا الشيء الذي أصبح واضحاً جداً بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام حاولوا أن يغطوها ويضللوا أفكار الناس، ويجعلونهم لا يلتفتون إلى هذه القضية ويتصورونها على أساس أنها صراع قبلي المظنون أن هذا التفسير منبعه السلطة الجائرة التي كانت قد ثار عليها الإمام الحسين عليه السلام هذا التفسير الأول المعروف.

يوجد تفسير ثانٍ في بعض الكتب وهو تفسير القضية على أساس شخصي ومزاج شخصي أن الإمام الحسين عليه السلام كان أبي الضيم كان له مزاج خاص مثلاً في صرامته يشبه أباه لا يهدأ له حال لظليمة تقع في العالم، له روح ثورية هذه المواصفات الروحية التي يمتلكها الإمام الحسين عليه السلام هي التي دعت إلى أن يثور في وجه يزيد.

هذا أيضاً تفسير آخر في القضية لكن لا على أساس مسألة قبلية عشائرية بل على أساس مزاج شخصي للإمام الحسين عليه السلام يحاول أن يجعل من هذا المزاج، من مزاج

هذا الإنسان مزاجاً لا يقر بأي وجه من وجوه الظلم ولا يستطيع أن يهادن لحظة كما لم يهادن أبوه عليه السلام ، لم يستطع أن يهادن معاوية ولو للحظة بأن يبقى معاوية في الحكم ثم بعد أخذ الأعراف بخلافته اقترح هذا الاقتراح على الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام اقترح عليه طلحة والزبير أنه ليس هناك داع منذ اللحظة الأولى عزل جميع ولاية عثمان ومنهم مثلاً معاوية^(١).

فماذا يضرك الآن لو تبقيه على ما كان عليه والإبقاء أهون من التأسيس والتنصيب ضع الوضع على ما كان وخذ من هؤلاء البيعة والاعتراف لك. ثم بعد ذلك لا يمكنهم نقض البيعة ولا يستطيع بعدها معاوية رفع قميص عثمان لخداع الناس وتضليلهم ومحاربة الإمام عليه السلام كما فعل في صفين طرح عليه هذا الاقتراح لكن الإمام عليه السلام لم يقبل منذ اللحظة ويُفسر هذا بالصرامة والحدية في منهج الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام ومزاجه. وقد ورثها الإمام الحسين عليه السلام منه ولم يرثها الإمام الحسين عليه السلام ذاك صالح معاوية وهذا لم يحاول لأن روحه كانت روحاً خاصة روحاً

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١ : ٥٩.

ثورية حدية لا تقرر لحظة واحدة على أي ظلم يقع في العالم... هذا أيضاً تفسير مزاجي شخصي لقضية الإمام الحسين عليه السلام وهو أيضاً مرفوض.

أولاً: لأنه أيضاً يتنافى مع العقيدة التي نحن نعتقد بها بالأئمة عليهم السلام نحن نعتقد أن الأئمة في مجال العمل الاجتماعي والرسالي لا فرق بينهم «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»^(١) لا نفرق بينهم من ناحية ما يرجع إلى العمل الاجتماعي، قد يكون هناك بينهم فروق جسدية أو خاصة إلا إن الصفات التي ترجع إلى الجانب القيادي والجانب الاجتماعي والرسالي والدور الرسالي لكل واحد من الأئمة لا يختلفون فيها، كلهم نور واحد وكلهم على المستوى المطلوب من الانطلاق من الموقف الشرعي والمسؤولية الشرعية والوظيفة الشرعية من دون أي تأثر بمزاج أو بيئة أو حالة أو قضية من القضايا الطارئة طبقاً لهذا المعتقد الذي نعتقده نحن كشيعية.

لا يمكن أن نفسر قضية الإمام الحسين عليه السلام أنها كانت نابعة من مزاج روح ثورية خاصة وإباء خاص كان يمتلكه ولم

(١) مناقب ابن شهر آشوب، ج ٣: ١٦٣.

يمتلكه إمام آخر، فما يمتلكه الإمام الحسين عليه السلام كان يمتلكه الإمام الحسن عليه السلام في هذه المواصفات الرسالية والعمل الرسالي والاجتماعي لكل منهم.

إذن عقيدتنا لا تساعد على مثل هذا اللون من التفسير.

وثانياً: عندما نراجع التاريخ والأحداث الخارجية نجد أن المسألة من الناحية التاريخية أيضاً مرفوضة، فنحن نعلم أن الإمام الحسين عليه السلام عاش مع الإمام الحسن عليه السلام عشر سنين ولم يثر، عشر سنوات بقي الإمام الحسين عليه السلام بعد الإمام الحسن وقبل ثورته في فترة حكم معاوية ولم يثر، مع أنه دعا إلى الثورة وجاءته بعض الرسل أو الكتب من العراق، جاءه سليمان بن صرد الخزاعي وطلب منه الخروج ولم يخرج الإمام ^(١) والتزم بنفس المنهج الذي كان قد وضعه الإمام الحسن عليه السلام وأيضاً في زمن الإمام الحسن عليه السلام أيضاً طرح عليه مسألة الثورة «بعدها صالح الحسن» من قبل بعض المتحمسين من شيعة أهل البيت عليهم السلام ^(٢) يتسوا من

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ٢٩١.

(٢) موسوعة كلمات الإمام لحسين عليه السلام : ٢٥١، الإمامة والسياسة لابن قتيبة

ج ١ : ١٤١ تحقيق الزيني.

الإمام الحسن عليه السلام وبعد لم يدركوا عمق المسألة وخلفية هذا الصلح الذي هو لم يكن بأقل أهمية وخطورة من ثورة الإمام الحسين عليه السلام فتوجهوا إلى الإمام الحسين عليه السلام وطلبوا منه هو أن يقوم بالعبء مع وجود الإمام الحسن عليه السلام ويأتي إلى العراق، أيضاً الإمام الحسين عليه السلام دفعهم وصحح نفس الموقف الذي وقفه الإمام الحسن عليه السلام مما يدل على أنه كان مشاركاً مع أخيه الإمام الحسن في نظره تجاه الموقف، موقف الصلح الذي صدر من الإمام الحسن عليه السلام.

إذن فالمسألة ليست مسألة مزاج وأن هذا أبي الضيم وكانت روحه روحاً ثورية وكانت حالته النفسية حالة لا تقبل إقرار الظالم ولو لحظة ومن هنا ثار.

هذه التفسيرات من الناحية التاريخية والواقعية تكون مرفوضة ومن الناحية العقائدية لا يمكننا نحن الموافقة عليها.

هذه قائمة النظريات والتفسيرات التي تفسر حركة الإمام الحسين عليه السلام وهي في معظمها باطلة ومنحرفة. ولا يمكن بوجه من الوجوه المساعدة عليها وهي في أكثر الظن

تفسيرات مدسوسة جيء بها من أجل بعض الأغراض وبعض الأهداف السياسية المنحرفة من قبل نفس الحكام.

◀ النظريات المطروحة إسلامياً في قضية الإمام الحسين عليه السلام :

في قبال هذه القائمة الأولى من التفسيرات، توجد قائمة ثانية أو صنف ثانٍ من التفسيرات التي في نفسها يمكن أن تكون صحيحة لا تصطدم مع معتقد ولا توجد عليها علامات استفهام من هذا النوع الذي وجدناه على التفسيرات من الصنف الأول. هذه التفسيرات نفسها يمكن أن تكون تفسيرات قابلة للقبول ولا تكون عليها علامات استفهام طبعاً الحكم على مدى صحتها أو نسبة هذه الصحة بالقياس إلى المفهوم الأمثل تابع للحكم والتقييم، فقد يكون فيها خطأ أو اشتباه وهذه مسألة أخرى لا بدّ من بحثها، فالنوع الثاني أو الصنف الثاني من التفسيرات أو النظريات التي أُعطيت في تفسير ثورة الإمام الحسين عليه السلام النظريات التي يمكن أن تكون في نفسها صحيحة، وإن كانت في صحتها كواقع خارجي بحاجة إلى دراسة التاريخ ودراسة الشواهد وملاحظة المسألة من كل أبعادها لنجد أنها صحيحة أو ليست

صحيحة، يعني مخالفة للواقع غير مطابقة للواقع الخارجي الذي كان موجوداً آنذاك في المجتمع الإسلامي وفي نفس الإمام الحسين عليه السلام، هذه النظريات أو التفسيرات نستطيع أن نلخصها في ثلاثة تفسيرات وهي كلها تفسيرات موجودة بشكل وبآخر في أذهان الشيعة، وفي بطون الكتب الشيعية وعند المفكرين الشيعة. هذه التفسيرات موجودة عندهم قد تكون بعضها مشهورة، أو لم تكن بدرجة من الشهرة، إلا أنها كلها تفسيرات منسجمة مع معتقدات الشيعة إلى حد كبير، نلخصها في ثلاث نظريات :-

النظرية الأولى: نستخدم عليها بالنظرية الغيبية لحركة الإمام الحسين عليه السلام.

النظرية الثانية: نستخدم عليها بالنظرية السياسية لحركة الإمام الحسين عليه السلام.

النظرية الثالثة: نستخدم عليها بالنظرية الرسالية التاريخية في قضية الإمام الحسين عليه السلام.

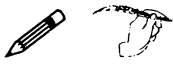
فلا بدّ من استعراض هذه النظريات الثلاث، ما هي، وما هي الشواهد عليها وما هي الدلالة عليها؟ فالنظرية الغيبية كيف تفسر ثورة الإمام الحسين عليه السلام وماذا تقول؟

النظرية السياسية كيف تفسر وما هي أدلتها وما هي الشواهد التي تستند عليها؟ والنظرية التاريخية ماذا تدعى وكيف تفسر القضية وما هي الشواهد وكيف تبطل النظريتين الأولى والثانية . . . ؟

والحمد لله رب العالمين



المحاضرة الثانية ١٤٠٣ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قلنا بالأمس إن هناك عدة نظريات تُفصل وتشرح دوافع الثورة الحسينية وأسباب هذه الثورة.

◀ النظرية الأولى: التفسير الغيبي

اصطلحنا عليها بالنظرية الغيبية، هذه النظرية تحاول أن تفسر دوافع هذه الثورة المباركة على أساس أوامر عالم الغيب وأن الإمام الحسين عليه السلام باعتباره معصوماً مرتبطاً بعالم الغيب كُلف من قبل الله سبحانه ومن عالم الغيب بأن يقوم بهذه العملية كتكليف خاص به، باعتباره إنساناً خاصاً ومعصوماً مرتبطاً بعالم الغيب. لا يشاركه فيه غيره من الناس. ولهذا هذا التكليف الشاق العظيم كان كما أوجه الله سبحانه عليه وكان يجب أن يقوم بذلك طبق التكليف الإلهي، طبعاً هذا التفسير يقبل أنه ترتبت على هذه الحركة المباركة وهذه الثورة العظيمة آثار ونتائج إلا أن تلك المسألة

مربوطة بالآثار والنتائج، الآن نبحث عن الدوافع والأسباب. الدافع الذي كان لدى الإمام الحسين عليه السلام هو الامتثال لأمر عالم الغيب فلم يكن هناك دافع سياسي خاص دفعه إلى هذا الشيء ولم يكن هناك دافع اجتماعي خاص، وإنما الدافع الحقيقي والسبب الحقيقي الذي حمله على أن يقوم بهذه العملية وعلى هذا العمل الضخم وعلى هذه التضحية الكبيرة إنما هو أوامر عالم الغيب، وإنما هو هذا التكليف الإلهي الخاص الذي كلف به وبالذات في تلك الفترة الزمنية الخاصة من التاريخ، فأصحاب هذه النظرية يحاولون أن يجعلوا هذا التكليف الغيبي الخاص هو الدافع الحقيقي رغم اعترافهم بأن هذا التكليف ترتبت عليه آثار ونتائج كثيرة في التاريخ الإسلامي، إلا أن تلك الآثار لم تكن هي الدوافع بل لعلها لم تكن ملحوظة للإمام الحسين عليه السلام وإنما كان المنظور له الدافع الحقيقي الذي دفعه، والذي كان في نفسه إنما هو امتثال الأمر الإلهي الخاص به، والأمر الغيبي الخاص به، ويستشهدون على ذلك ببعض النصوص الواردة منه عليه السلام والتي قد يكون ظاهرها بهذا المعنى، افترضوا النصوص التي وردت في أن الإمام الحسين عليه السلام عندما حاول الحاكم الأموي في المدينة

أن يجبره على أخذ البيعة ليزيد فاستمهله ليلة أو ليلتين وذهب إلى مرقد النبي ﷺ فأخذته حالة النوم مثلاً في عالم الرؤيا شاهد الرسول ﷺ فطلب منه أن يأخذه إليه، قال لا إنه شاء الله أن يراك قتيلاً^(١)، الله سبحانه وتعالى قدر أن تقتل في أرض معينة وهي كربلاء مثلاً. أو المحاورة التي جرت بين الإمام الحسين عليه السلام وبين أخيه محمد بن الحنفية أيضاً فيها دلالة على هذا المعنى، نص المحاورة يذكرها السيد ابن طاوس بهذا الترتيب يقول (سار محمد بن الحنفية إلى الحسين ليلة أراد الخروج إلى مكة فقال: يا أخي إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك وقد خفت أن يكون حالك بحال من مضى فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من في الحرم وأمنعه، فقال: يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد ابن معاوية في الحرم فأكون ممن تستباح به حرمة هذا البيت فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فسر إلى اليمن أو بعض نواحي البر فإنك امنع الناس به بقدر عليك، فقال أنظر فيما قلت، فلما كان السحر ارتحل الحسين فبلغ ذلك ابن الحنفية فلحقه فأخذ زمام ناقته التي ركبها فقال: يا أخي ألم تعدني

(١) ينابيع المودة للقندوزي، ج ٣: ٦٠.

النظر فيما سألتك؟ قال: بلى، قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟ فقال: أتاني رسول الله بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين اخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً، فقال ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء وأنت تخرج على مثل هذه الحال: فقال له: قد قال لي (النبي): إن الله قد شاء أن يراهن سبايا^(١).

هذا أيضاً يدل على أن المسألة مشيئة إلهية غيبية، لا بد وأن يتحملها الإمام الحسين عليه السلام وهذا تكليف خاص به. أيضاً في بعض الرسائل التي ينقلها صاحب كامل الزيارات رسالة ينقلها عن الإمام الحسين عليه السلام إلى أخيه محمد بن الحنفية.

(بسم الله الرحمن الرحيم... من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم، أمّا بعد فإن من لحق بي فقد استشهد ومن لم يلحق لم يدرك الفتح)^(٢).

أيضاً يقال إن هذا دليل على أن الإمام الحسين عليه السلام هدفه أن يستشهد وأن ينتهي، نتيجة أن الله سبحانه

(١) اللهوف لابن طاوس: ٤٠.

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه: ١٥٧.

ورسوله ﷺ قد بلغه بذلك، يمكن استخراج بعض الشواهد الأخرى من هناك وهناك والتي تدل على أن العملية كانت عملية غيبية، كان هناك تكليف ثقيل ملقى على عاتق الإمام المعصوم وهو تكليف خاص به . بخصوصية إلهية فيه وبخصوصية في هذا التكليف الإلهي كلف هذا الإمام المعصوم المظلوم أن يتحمل هذا العبء الثقيل ويذهب إلى كربلاء لكي يقتل ويستشهد، وأيضاً قدر لأهله بأن يؤسروا بهذا الترتيب، طبعاً كل تكليف له آثار ونتائج، لكن الآثار بعد ذلك ترتبت، أما الدافع الذي حرّك الإمام الحسين ﷺ والدافع الاجتماعي للقضية لم يمكن هناك واقع غير هذا المنطق الذي يواجهه به الإمام الحسين ﷺ محمد بن الحنفية، وهو أخوه وأقرب الناس إليه يقول له صراحة بأن المسألة كأنها ليست مسألة تخطيط اجتماعي لعمل اجتماعي وإلا كيف كان يقول مثل هذا القول لمحمد بن الحنفية، ولماذا لا يقول له أنا عندي تخطيط اجتماعي معين، عندي هدف مستهدف من وراء هذه العملية وسوف أصل إليه بشروطه لم يقل كذلك وإنما آخر جواب منه لأخيه، أنه شاء الله أن يراني قتيلاً وشاء الله أن يرى الأهل والعيال سبايا هذا آخر جواب له .

إذاً يتضح من ذلك أن الدافع دافع امتثال لتكليف إلهي لا دافع اجتماعي ولا هدف مشخص مخطط له من الإمام الحسين عليه السلام.

◀ التحفظات حول التفسير الغيبي:

هذا التفسير بهذا الشكل قد يُطرح ويطرحة بعض الخطباء وبعض الكتّاب، والظاهر أنه ليس تفسيراً تاماً وصحيحاً وذلك باعتبار عدة ملاحظات.

◀ الملاحظة الأولى:

إن تفسير قضية الإمام الحسين عليه السلام بهذا الشكل يتنافى مع الطبيعة البشرية لعمل الأنبياء والأوصياء، نحن وإن كنا نعتقد بأن الأنبياء والأئمة الأطهار، هم ثقل الله في الأرض، وهم ثقل عالم الغيب، وهم الحبل الممدود إلى عالم الشهادة وهم أحد الثقلين في الأرض وهم الوساطة بين العباد وبين الله، كل هذه المعاني صحيحة إلا أننا في نفس الوقت نعتقد بأن الأنبياء والأئمة الأطهار كانوا بشراً وفي أعمالهم في الحياة وبالأخص الأعمال التي ترتبط بالجانب الاجتماعي من حياة الناس، كانت منطلقاتهم وكانت طبيعة أعمالهم طبيعة بشرية، نحن لا ينبغي أن نتغافل ونجعل من

الأنبياء وجودات أخرى كالملائكة كموجودات عالم الغيب، لهم أحكام موجودات عالم الغيب وامتيازاتهم ليست كذلك، فيما يرجع إلى دورهم في حياة الناس وفي الدنيا هم بشر كسائر البشر، وطبيعة عملهم وطبيعة تحركهم سيّما التحرك الاجتماعي لهم، في الجانب الاجتماعي كانوا يتحركون كبشر وكان لتحركاتهم دوافع بشرية مفهومة وعقلانية أمام الناس، الناس فهم يفهمونهم، ولولا بشرية أعمال وأدوار الأئمة الأطهار والأنبياء لما استطاعوا أن يغيّروا البشر، في الواقع تغير البشرية لا يمكن أن يكون بشكل وأسلوب غير بشري، نعم أصل التغيير ومنبع التغيير ومنبع الرسالة هو عالم الغيب هو الله سبحانه وتعالى، إلا أن مجرى التغيير، طريقة التغيير ومسار التغيير، مسار بشري ومسار أرضي، ولهذا الآيات القرآنية تقول بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ (٨) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ (١).

لماذا جعله بشراً، لأنه لا يمكن وليس هناك لدى الإنسان أن يتكون ويسمو ويتسامى من خلال التربية الربانية الإلهية، إلا

من خلال هذه الأساليب البشرية، فحتى الملك، حتى الموجود الغيبي لو أريد إنزاله إلى الأرض لا بدّ وأن يؤطر بالإطار الأرضي لكي يتمكن من أن يؤثر في الناس ولكي يتمكن من أن يغيّر البشر والبشرية، فتغير البشرية وتكملها وجعلها في مسار الكامل لا بدّ وأن يكون بأساليب أيضاً منسجمة مع الطبيعة البشرية أي الأساليب البشرية.

فافتراض أن الإمام الحسين عليه السلام كان له تكليف خاص وهذا من خصوصيات الإمام الحسين عليه السلام لأنه معصوم ولم يكن الدافع مفهوماً ولا معقولاً عند الناس الذين من قبيل محمد بن الحنفية وأمثاله، وإنما مسألة غيبية بحثة مئة بالمئة هي التي دفعت الإمام عليه السلام، وهذا يتنافى بوضوح مع أصل النظرية التي نحن نؤمن بها في حق طبيعة عمل الأنبياء وعمل الأوصياء والأئمة في العالم، في حياة الدنيا، خصوصاً إذا لاحظوا أن الإمام الحسين عليه السلام في تحركه هذا وفي عمله هذا لم يكن مقتصرأ على نفسه هو كان يفكر أن يأخذ معه كل من كان مستعداً لهذا العمل، كان يفكر ويحاول أن يسعى أن يأخذ معه من يأتي ولهذا كتب (ومن لم يلحق بنا لم يدرك الفتح) ليس بهذا يريد أن يستنهض الهمم، ويحرك

الناس إلى أن يأتوا معه لعملية غيبية بحتة، بدافع غيبي بحت هذا يمكن أن يقوم به شخص، ذاك الشخص الغيبي فقط هو الإمام، أمّا إذا استطاع أن يحرك الجماهير معه ولو خمسة ولو ثلثة من الناس لحمل الأمر على غير محمل، لقد كان الإمام يدعو ويستهدف أن يخرج الناس معه وبالفعل خرج معه جماعة (٧٢) فرداً من أصحابه لم يكونوا أناساً غيبين، كانوا أناساً بشريين، لم يكونوا معصومين كانوا بشراً وتأثروا بموقف الإمام الحسين عليه السلام ومنطقه وحركته، والإمام الحسين عليه السلام كيف كان يمكن أن يحرك هؤلاء لو كانت المسألة دوافعها دوافع غيبية لا يفهمها الإنسان الاعتيادي، يفهمها الإنسان المعصوم بعلمه بالغيب إذا كانت الدوافع والأسباب غيبية، فهذه لا تستطيع أن تحرك الناس ولا تكون مفهومة أمامهم، حتى للأصحاب الذين قتلوا مع الإمام الحسين عليه السلام سوف لن تكون القضية مفهومة وسوف لن يندفع هذا الإنسان لكي يبذل دمه، قلّما يوجد أحد مستعد أن يدفع دمه في هذا المجال، والاندفاع الذي يحركه اندفاع مجرد غامض لا يمكن أن يفسره ويبرره، ولا يكون فيه تفسير وإيمان حقيقي وطوعي من قبل هذا الإنسان في قبال هذا

التحرك، بينما نحن نجد أن هؤلاء متجهون طوعاً مع الإمام الحسين عليه السلام وهم كانوا متربين ومتأثرين بقضية الحسين عليه السلام تأثيراً غير من تصوراتهم وغير من روحياتهم ونفسياتهم، قبل الإمام الحسين عليه السلام كانوا يخاطبون الناس وأهل الكوفة ويوعظونهم ويجعلونهم أمام المسؤولية الملقاة على عاتقهم، كيف كان يمكن لهؤلاء أن يبلغوا هذا المبلغ ويصبحوا بهذا الشكل لو افترضنا أن المسألة دوافعها وأسبابها أسباب غيبية خاصة بالإمام فقط لا يفهمها إلا المعصوم ولا يمكن أن يكون معقولاً ومفهوماً أمام الآخرين وفي الجو الاجتماعي الذي كان يعيشه الإمام عليه السلام.

إذاً فمن هذه الناحية لا يمكن المساعدة على هذا المقدار من التفسير الغيبي، هذه هي الملاحظة الأولى على هذا التفسير.

◀ الملاحظة الثانية:

إن هذا التفسير على خلاف تصريحات الإمام عليه السلام نفسه، هناك محاورات من الإمام عليه السلام هناك خطب وكلمات صريحة صدرت من الإمام عليه السلام في يوم عاشوراء وقبل عاشوراء، في مكة، في أماكن أخرى صريحة في أن القضية

دوافعها دوافع قابلة للفهم العقلاني وقابلة للفهم الاجتماعي وقابلة لأن تطرح على الجماهير، بل بالفعل طرحها الإمام على الجماهير، ما أكثرها التصريحات التي تدل على أن الإمام يشرح دوافع ثورته ودوافع خروجه ويحاول أن يذكر دوافع رسالية قابلة للفهم والتصديق والإذعان من قبل المؤمنين في المجتمع الإسلامي آنذاك، في كثير من خطبه هذه المسألة موجودة كما سوف نشرح تلك النصوص وتلك الأدلة والشواهد في (النظرية الثانية) التي هي عكس النظرية الأولى.

إذاً فتصريحات الإمام عليه السلام والرسائل التي كان يبعثها إلى أهل الكوفة كانت واضحة في أنه كان يريد العدل يقول: فما الإمام العادل إلا من أقام السنة إن هذا كان حقنا وقد أخذه غيرنا، وسكتنا عنه - من أجل أن لا تصبح فرقة - ونحن أحق به من غيرنا واضح أنه يبين أن الدافع الحقيقي: هو أن النظرية الإسلامية تقول إن الولاية والإمامة والخلافة لا بدّ وأن تكون في أهلها الشرعيين وهم المعصومون لا يزيد ابن معاوية ولا هؤلاء ولا من كان قبله يسمى بالخلفاء الراشدين، يبدو واضحاً في كلام الإمام عليه السلام أن دافعه

وهدفه كان هدفاً على الأقل قابلاً للطرح على الجماهير وإفهام الناس ماهية الهدف، وقابل لإدراك الناس لهذا الهدف وهذا الدافع وهذا ينافي أن تكون القضية قضية غيبية خاصة.

هذه هي الملاحظة الثانية على هذا التفسير.

◀ الملاحظة الثالثة:

يبدو أن مثل هذا التفسير أساساً يجعل من قضية الإمام الحسين عليه السلام قضية غير مؤثرة حقاً وغير مربية للبشرية والناس، أي لو افترضنا أن قضية الإمام الحسين عليه السلام هي في الواقع حكم غيبي خاص مخصوص بالإمام الحسين عليه السلام، فالله سبحانه وتعالى لحكمة غيبية شاء أن يرى الإمام الحسين عليه السلام قتيلاً في كربلاء، والإمام الحسين عليه السلام باعتباره معصوماً امتثل للمشيئة الإلهية وذهب لكي يُقتل في كربلاء. إذا كانت المسألة دوافعها في ضمن هذه الحدود فقط فمثل هذه القضية من المستحيل أن تربى الناس والأجيال وأن تكون فاعلة في ضمير من كان في زمن الإمام الحسين عليه السلام، فضلاً من أن تبقى هذه الفاعلية وهذا التأثير وهذا المدّ وهذه الهزة تبقى إلى الآن، لأن الناس عندما لا يفهمون القضية فهماً عقلائياً وفهماً بشرياً، وقد

يفهمه كحكم خاص وعملية خاصة غيبية موضوعه أيضاً إنسان خاص وهو المعصوم فنحن لسنا معصومين ، الناس ليسوا بمعصومين فهم خارجون موضوعاً وتخصصاً عن هذا الحكم .

إذن فلماذا يتفاعلون مع هذه القضية وكيف تؤثر عليهم هذه القضية وكيف تكهريهم كما كهريتهم فاعلية قضية الإمام الحسين عليه السلام بحسب الحقيقة فإنها متوقفة على أن تحفظ بشرية القضية لأن الطبيعة البشرية في القضية إذا لم تحفظ وخرجت القضية عن كونها بشرية فسوف لن تؤثر ولن تكون فاعلة وتصبح قضية غيبية . الإنسان قد يتأثر ويتألم ويبكي على الإمام الحسين عليه السلام ولكنه لا يتخذ من هذه القضية درساً وعبرة لنفسه ولا يعتبر هذا السلوك قدوة بالنسبة إليه وأنه هو أيضاً عنده مسؤولية تجاه تطبيق سلوكه وعمله الاجتماعي مع ما فعله الإمام الحسين عليه السلام سوف لن يجد في ذلك أي مبرر ، لأنها قضية خاصة في موضوع خاص من قبيل سائر الأحكام الخاصة بالنبي صلى الله عليه وآله افرضوا مثلاً تعدد الزوجات أكثر من أربع هذه أحكام خاصة بالنبي صلى الله عليه وآله هل يمكن لأحد أن يطبق سلوكه عليه؟ كلا ، لأنه حكم خاص أو

أي حكم خاص كان من مختصات أحد الأنبياء السابقين، الحكم الخاص لا يمكن أن يكون قدوة للناس ومربياً للآخرين بينما نحن نعلم أن قضية الإمام الحسين عليه السلام هي من أقوى العوامل التي ربّت المجتمعات الإسلامية والأجيال على طول التاريخ ولا تزال هي الفاعلة المؤثرة والمهيمنة والمبقية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام سيما الجانب السياسي من هذه المدرسة، الجانب الذي يرفض كل أنواع الحكام الظلمة والذين كانوا يريدون وأرادوا بالفعل أن يذلوا المجتمعات والأمة الإسلامية أذلّوها بالفعل وميعوها، قرأت في كتاب تاريخي أن الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز هذا الشخص أحضر أربعين من الصحابة شهدوا جميعاً على أن من يكون خليفة تسقط عنه التكاليف ولا يحاسب يوم القيامة بأي شيء يفعلُه وفعله مرفوع عنه القلم، وأي عمل يعملُه لا يحاسب عليه هذه صيانة للخلافة المتجسدة في الخليفة عمر بن عبدالعزيز الأموي هذا مستوى الإذلال ومستوى التميع أن يجعلوا من الناس بهذا المستوى بحيث لا يحق من ناحية قانونية وتشريعية لا يحق لأحد، لأنه لا يحق لله فكيف لبشر، لمخلوق له أن يؤاخذ ويحاسب الخليفة ويضعه تحت السؤال

لماذا فعلت هذا؟ أو لماذا عملت كذا؟ هذه الأفكار المضللة وهذا التميع للأمة الإسلامية والتحريف للقيم والمفاهيم، لم تؤثر، لماذا لثورة الإمام الحسين عليه السلام فإن من أبرز نتائج الثورة المباركة إذا لم تكن هذه الثورة أو كانت هذه الثورة والعملية خاصة مخصوصة بالإمام الحسين عليه السلام كتكليف غيبي ودافعه أمر غيبي خاص، فالآخرون لماذا يتأثرون به فلا يتأثرون... حكم خاص له موضوع خاص، إنما تأثروا لأنهم شاهدوا أن هذا العمل الذي عمله الإمام الحسين عليه السلام إنما عمله باعتباره أحد المكلفين الرساليين المسؤولين بحمل الرسالة وتطبيق أحكام الله والشرعية الإسلامية، وهذه التكاليف كما هي موجهة إليه موجهة لكل فرد من المسلمين بل الآخرون أولى بالتضحية لأن أيّ إنسان بهذه المنزلة العظيمة ضحّى بما يملك في سبيل تطبيق أحكام الله وفي سبيل رفض هذا الخطر المحدق بالأمة الإسلامية، فالناس الآخرون أولى أن يضحّوا لأن هذا ضحّى بالأنفس بالأغلى وبالأعز، فكيف لا يضحّي الآخرون بالأقل، من هنا كانت العملية قدوة للآخرين ومن هنا كانت الحركات والثورات كلها تستفيد من هذه الثورة كان وقودها بحسب

الحقيقة عمل الإمام الحسين عليه السلام ، هذه الوقودية لا يمكن أن تكون إذا كان الحكم حكماً خاصاً ومخصوصاً بالإمام الحسين عليه السلام .

إذاً هذا التفسير يجعل القضية خاصة باهتة لا فائدة فيها ولا تأثير فيها على الآخرين، لا ينبغي للإنسان أن يستفيد منها دروسه وعبره وتكاليفه الشرعية، وإنه لا بد أن ينهض كما نهض الإمام الحسين عليه السلام .

كل هذه المعاني الجليلة الخطيرة التي حافظت على الإسلام الحقيقي، كل هذه المعاني سوف نفقدها بناءً على هذا التفسير، وأما الأدلة التي يستشهدون بها، هذه الروايات التي أشرنا إلى بعضها، طبعاً هناك مناقشة فيها سندية علمية، الآن الرواية التي ينقلها السيد ابن طاوس في اللهوف مثلاً لا توجد في المصادر الأولى قبل صاحب اللهوف. طبعاً كتاب اللهوف للسيد ابن طاوس الذي كان في أواخر القرن السابع هجري، يقال إن هذا الكتاب أو أن هذه الرواية بعد هذا التتبع لا نجد لها أثراً في المصادر الأولى وفي سند هذه الرواية شخص متهم حتى عند السنة متهم باتهامات، هناك مناقشات رجالية وعلمية فنية لا داعي للدخول فيها الآن.

نجد أن هذه الروايات حتى لو أتمت سندها أو سند بعضها على الأقل، هذه الروايات لا تؤيد النظرية الغيبية بهذا التفسير الجامد لقضية الإمام الحسين عليه السلام.

هذه الروايات تدل على أن الإمام الحسين عليه السلام كان يعرف وهو مطلع على أن نهاية هذه المسيرة الشهادة ونهاية حركته الاستشهاد، هو في رواية كامل الزيارات كان يريد أن يفهم الناس بأنه سيستشهد، كان يطلب من الناس أن يصمموا على الشهادة، وأن يوطنوا أنفسهم على الشهادة هذه الروايات مدلولها ومفادها ليس أكثر من هذا، إن الإمام الحسين عليه السلام كان واضحاً لديه أن هذه الحركة ستنتهي إلى الشهادة إلا أن هذه المسألة غير التفسير الغيبي إذ ربّما يشخص قائد أن حركته سوف تنتهي إلى الشهادة لكن مع ذلك انطلاقه ودافعه في هذا التحرك مفهوم وعام أي ليس تكليفاً غيبياً خاصاً به، بل من أجل أن الدور الذي يقوم به كمسلم . . . والمسؤولية الشرعية التي هو مكلف بها كمسلم له إمكانيات ومسؤوليات خاصة . . . هذا الدور يتوقف إنجازه وتحقيقه أن يستشهد في سبيل الله فتكون الشهادة مفهومة حينئذ وعقلانية، فأكثر الحركات وأصحاب الحركات الذين

يقدمون على التحرك مع علمهم في الحركات المادية موجود فضلاً عن الحركات الإسلامية... مع علمهم أن هذا التحرك سوف ينتهي بهم إلى الشهادة مع ذلك يقدمون... لهدف أبعد من وجودهم في الحياة يجدون الهدف الذي قاموا به واعتقدوا به بلزوم تحقيقه في الحياة هدفاً متوقفاً على أن يستشهدوا في سبيل الله ويبذلوا دماءهم رخيصة في هذا السبيل.

هذه الروايات لا تدل على غيبية الدوافع كما يريدونها أصحاب النظرية الأولى، لا تدل على أن دوافع القضية دوافع غيبية خاصة بالإمام الحسين عليه السلام... دوافع لكل الناس مفهومة إلا أنها هذه الدوافع وهي حفظ الإسلام وحفظ بيضة الإسلام من الخطر الكبير الذي كان محدقاً به، هذا الدافع موقوف على عملية صعبة على مقدمة لا يتحملها إلا الإنسان الذي واقعاً قد أخذ الإيمان بقلبه، لأنه موقوف على أن يدفع دمه، وكل ما يملك في هذا السبيل، ولا يكفي أن يدفع ماله أو بعض جهوده، إذن فهذه الروايات التي استشهد بها أصحاب التفسير الغيبي لدوافع قضية الإمام الحسين عليه السلام، هذه الشواهد حتى لو تمت سنداً لا تتم دليلاً

على ما هم يريدونه أو يبغونه في هذا التفسير، بل لا تدل إلا على هذا المقدار وهو أن الإمام الحسين عليه السلام كان واضحاً لديه وراجحاً أن هذه الحركة سوف تنتهي به إلى أن يستشهد في سبيل الله ويستشهد كل من يخرج معه، وهذا شيء كان يفصح عنه ويبينه حتى لمن كان يلتحق به، ويقول له عندما يلتحق إن مصيرنا هذا المصير، هل عندك استعداد أن تكون شهيداً في سبيل الله وفي سبيل الرسالة وإلا فهم يريدونني، فأتخذ من الليل جملاً، كما قال لأصحابه في ليلة العاشر، فقد روي أن الإمام الحسين عليه السلام قام في أصحابه خطيباً فقال: «اللهم إني لا أعرف أهل بيت أبر ولا أذكى ولا أظهر من أهل بيتي، ولا أصحاباً هم خير من أصحابي، وقد نزل بي ما قد ترون وأنتم في حل من بيعتي ليست لي في أعناقكم بيعة ولا لي عليكم ذمة، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جمللاً وتفرقوا في سواده، فإن القوم إنما يطلبوني ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري، فقام إليه عبدالله بن مسلم بن عقال بن أبي طالب، فقال: يا بن رسول الله ماذا يقول لنا الناس إن نحن خذلنا شيخنا وكبيرنا وسيدنا وابن سيد الأعمام وابن نبينا لم نضرب بسيف ولم نقاتل معه برمح، لا والله أو نرد موردك ونجعل أنفسنا دون نفسك ودماءنا دون

دمك فإذا نحن فعلنا ذلك فقد قضينا ما علينا وخرجنا مما
لزمنا ، وقام إليه رجل يقال له زهير بن القين البجلي فقال :
يا بن رسول الله وددت أني قتلت ثم نثرت ثم قتلت ثم نثرت ثم
قتلت ثم نثرت فيك وفي الذين معك مائة قتله : وأن الله دفع بي
عنكم أهل البيت فقال له ولأصحابه : جزيتم خيراً^(١) .

وعن أبي حمزة الثمالي قال : قال علي بن
الحسين عليه السلام : كنت مع أبي الليلة التي قتل صبيحتها فقال
لأصحابه : هذا الليل فاتخذوه جملاً فإن القوم إنما يريدونني ،
ولو قتلوني لم يلتفتوا إليكم ، وأنتم في حل وسعة .
فقالوا : لا والله لا يكون هذا أبداً .

قال : إنكم تقتلون غداً كذلك لا يفلت منكم رجل .
قالوا : الحمد لله الذي شرفنا بالقتل معك . ثم دعا ، وقال
لهم : ارفعوا رؤوسكم وانظروا .

فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم ومنازلهم من الجنة . . .^(٢)
وكما قال لمن التحق به في الطريق بعدما بلغه مقتل
مسلم بن عقيل .

(١) الأُمالي للصدوق : ١٣٣ . البحار : ٤٤ / ٣١٦ باب ٣٧ .

(٢) الخرائج والجرائح للراوندي ج ٢ : ٤٤٨ باب ١٦ ، ج : ٦٢ .

فقد روي أنه عليه السلام نظر إلى بني عقيل فقال: ما ترون؟
فقد قتل مسلم!

فقالوا: والله ما نرجع حتى نصيب ثارنا أو نذوق ما
ذاق^(١).

إذن فهذه الأدلة والشواهد دلالة لا تدل على التفسير
الغيبى بل تدل على معنى دقيق جليل سوف نذكره فيما بعد.
إذن فالتفسير الغيبى بهذا الحل نحن نرفضه، نعم يمكن أن
نقبل التفسير الغيبى بمعنى آخر، بمعنى أن هذه العملية التي
قام بها الإمام الحسين عليه السلام حيث إنها عملية عظيمة جداً،
عملية بشرية قابلة للفهم البشري مبرراتها، دوافعها، أسبابها،
بل هذه العملية هي التي تريد الرسائل السماوية أن تربي
البشرية عليها لتبلغ المستوى الذي يكونون فيه مستعدين
لتحمل هذا العبء، لبذل هذه التضحية التي بذلها الإمام
وأصحابه فالمسألة في أصلها بشرية قابلة للفهم البشري
وتابعة لنفس التكاليف الملقاة على عاتق كل فرد في الأمة
الإسلامية وهي التكاليف الملقاة المرتبطة بحفظ الإسلام
والكيان الإسلامي ودفع الأخطار التي تحدق به، نحن نعلم

أن الخطر عندما يحدق بالكيان وما يسمى في الكتب الفقهية بحفظ بيضة الإسلام أي على أساس الإسلام وعلى أصل الكيان الإسلامي، ترخص الدماء والنفوس ولا يمكن حينئذ أن تطبق مبادئ ﴿وَلَا تُقْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(١) وأمثال هذه الكلمات، هذه كما بينها الإمام^(٢) «دام ظله» في محاضرة عندما يصل الأمر إلى أن الخطر يتوجه إلى أصل الإسلام حينئذ التكاليف الشرعية الفردية ومن جملتها حفظ النفس وعدم إلقائها في التهلكة وعدم إراقة الدماء... وغير ذلك، كل هذه المقولات تسقط في مقام المزاحمة وتضمحل أمام الواجب الأهم الذي هو حفظ أصل الإسلام وحفظ الكيان الإسلامي وهذا تكليف للبشرية جمعاء، ومن جملة التكاليف المثبتة في الشريعة الإسلامية ولكل البشر وليس مخصوصاً بالإمام... كل إنسان عندما يجد أصل الكيان الإسلامي والأمة الإسلامية الرسالية مهددة بالاضمحلال والانهيار والإذلال والانتهاك يجب عليه من الناحية الشرعية إذا كان بوسعه أن يمنع من ذلك أن يمنع ولو استدعى أن يدفع دمه

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٢) ويقصد به الإمام الخميني (قدس سره).

في هذا السبيل، وكل من يكون له قدرة أكثر وإمكانات المنع أكثر كلما كان التكليف موجهاً بالنسبة إليه أكثر ويجب أن يدفع هذا الخطر عن الإسلام ولو أدى أن يدفع في هذا السبيل دمه وأصحابه ومقامه الاجتماعي وأهله، فالقضية بشرية، والتكليف واضح ومفهوم ومعقول وهو نفس التكليف الذي كان أصحاب النبي والأئمة «صلوات الله عليهم» من أجله يندفعون في الغزوات ويندفعون في الحروب يبذلون دماءهم رخيصة في هذا السبيل، تكليف واضح، قضية الإمام الحسين عليه السلام نظير كل تلك القضايا الأخرى واضحة، ومفهومة إلا أن ما صدر في زمن الرسول ﷺ كان في مقام تثبيت وتأسيس أصل الرسالة وإيجاد أصل الأمة الرسالية وهذه كانت في مقام دفع الأخطار وصيانة الأمة الرسالية عن الأخطار المحدقة بها، الفرق فرق فقط بهذا المقدار وإلا فروح القضية وجوهر المسألة واحدة ومفهومة وبشرية وواضحة. هذا التكليف حيث إنه كان ثقيلاً جداً، المرض والمشكلة التي ابتليت الأمة الإسلامية بها وأحرق بالأمة وبكيان الإسلام كان خطراً عظيماً وكان خطيراً معقداً كان بحاجة إلى توضيح كبيرة، توضيح ليست من قبيل التوضيحات الاعتيادية بل توضيح من أكبر التوضيحات، توجد بعض

الأمراض الجسدية قد تقتضي أن الإنسان في سبيل دفع هذا المرض يقطع أعز عضو عنده أو يقوم بعملية تفقده شيئاً مهماً جداً في سبيل دفع الخطر الأهم. هذا الخطر الذي كان محدقاً بالأمة الإسلامية لم يكن بالإمكان دفعه إلا بعملية ضخمة جداً، إلا بتضحية كبيرة جداً هذه التضحية الكبيرة لكبرها وعظمتها كانت مرصودة منذ البداية في عالم الغيب مرصودة ومنظور إليها في عالم الغيب، لا يتحملها إلا إنسان على مستوى الإمام الحسين عليه السلام إنسان معصوم في مستوى الإمام الحسين عليه السلام ومن استطاع الإمام أن يربيه من الأصحاب، جسامة التضحية وضخامتها تجعل هذه التضحية تمتاز على كل التضحيات الأخرى التي ضحى بها الأنبياء والأوصياء والصالحون من عباد الله... إن هذه التضحية عندما تقارن بتلك التضحيات نجد أن المساوية في هذه التضحية والألم في هذه التضحية ومقدار التضحية والذوبان والفناء في الله. هذه التضحية أكبر من كل التضحيات السابقة.

تضحية بهذه الأهمية وبهذه الجسامة والثقل من المعقول أن يكون نحوه توجه خاص في عالم الغيب من قبل الله

سبحانه وتعالى يوجد توجه خاص لهذه التضحية . ومثل هذه التضحية أيضاً لا يمكن أن يقوم بها إلا المعصوم ولولا الإمام المعصوم فالآخرون لم يكونوا مستعدين للقيام بها فهي تحتاج إلى همة معصومة وروحية معصومة متمثلة بالإمام الحسين عليه السلام ، الغيبة بهذا المعنى لا بأس بها من دون أن نخرج القضية عن كونها قضية بشرية ذات دوافع محددة وعينية وذات أسباب مفهومة وعقلائية ، لكن حيث إنها كبيرة جداً وصعب مستصعب . . . هذا من الأمر المستصعب الذي لا يتحمله إلا المعصوم ومن استطاع المعصوم أن يربيه تربية صحيحة ، تستطيعون أن تنظروا المسألة بما يجري الآن من القضايا العراقية^(١) ، أنتم في العراق تجدون أنه كيف أن هذا الظلم الذي انصب على الشعب ليس كل أحد ، حتى في العلماء استعداد أن يتحمل هذا العبء ويضحي بنفسه وهو يعرف أن هذا الظلم لا يمكن أن يكافح وأن يدافع إلا بتحمل في التضحية يؤدي إلى أن يبذل مكانته ومقامه ويتنازل عن كل شيء حتى عن حياته وعرضه وكل هذا يجب أن يتنازل عنه في سبيل دفع هذا الخطر المحدق في الأمة الإسلامية في

(١) حيث كانت هذه المحاضرات في زمن الطاغية المقبور .

العراق. وهذا لا يتحملة كل إنسان ولا يبادر إليه، حتى في العلماء، ولهذا لم يستعد كل أحد أن يتحمل هذا العبء الثقيل لأنه ثقیل جداً لا يتحملة ولم يتحملة إلا الشخص الذي كان واقعاً من تربية مدرسة الإمام الحسين عليه السلام وكان اتفاقاً نظريته في القضية الحسينية هي هذه النظرية وقد امتزجت هذه النظرية في روحه وقلبه وفكره وله تصريحات مشابهة في بعض رسائله في فترة الاحتجاز كان يقول: إن قضيتي سوف تكون مشابهة للقضية الحسينية^(١)، تماماً بالتفسير الذي كنّا نفسّر به القضية الحسينية... بحيث هذه القضية تحتاج إلى تضحية شخص بهذا المستوى، لكي تهز الأمة وتهز المجتمع وتهزّ الضمائر وتبقى هذه الهزة من أهم عوامل إسقاط هذا النظام والخطر الذي قد يمحي الإسلام نهائياً عن العراق.

فالمقصود أن مثل هذه الأمور التي هي بحسب طبيعتها أمور ثقيلة وصعبة جداً ولا يستطيع أن يتحملها كل إنسان وكل بشر من المعقول أن تكون مثل هذه القضايا منظورة من

(١) ويقصد به أستاذه آية الله العظمى السيد الشهيد محمد باقر الصدر «قدس

قبل عالم الغيب ومخطط لها من قبل عالم الغيب، أو يفتح فيها الشخص الذي يكون مؤهلاً ومستعداً للقيام بها كالإمام الحسين عليه السلام ويفتح من قبل عالم الغيب في المنام مثلاً يجد رسول الله ﷺ يقول له: شاء الله أن يراك قتيلاً^(١)، في قضايا أخرى تنزل الملائكة عليه وتقول كلمة من هذا القبيل . . .

وهكذا في طريقه إلى العراق تأخذه حاله فيسمع منادٍ يقول: القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم^(٢). هذه كلها ارتباطات بين عالم الغيب وعالم الإمام الحسين عليه السلام وعالم الشهادة لكي تثبت من هناك هذا الإنسان الكامل والمعصوم.

فالقضية بحسب طبيعتها كبيرة ومهمة وثقيلة . . . فالغيبية بهذا المعنى لا بأس بها لأن هناك توجهاً خاصاً من قبل عالم الغيب وهذا التوجه قبل قيام الإمام الحسين عليه السلام بقضيته هناك نصوص دينية تؤكد أن آدم بكى على الإمام الحسين عليه السلام والأنبياء السابقون بكوا على الإمام الحسين عليه السلام والملائكة بكوا في السماء . . . روايات

(١) اللهوف: ٤٠. البحار: ٤٤: ٣٦٤ الباب ٣٧.

(٢) الإرشاد: ٨٤. البحار: ٤٤/ ٣٨٠ الباب ٣٧.

موجودة عن كل هذه المعاني فكلها مقبولة وصحيحة^(١) لماذا؟ لأن القضية لها هذا المقدار وأكثر من هذا، من القيمة والأهمية والعمق والدور في حياة البشر بحسب الحقيقة، عمق التضحية والفداء الذي قام به الإمام الحسين عليه السلام في سبيل عالم الغيب وفي سبيل الله . وهي أعظم تضحية قُدمت في هذا المجال من قبل البشرية، بحيث لا توجد أي قضية تناظر وتساوي قضية الإمام الحسين عليه السلام في هذه النقطة بالذات وهذا شيء أيضاً موجود في الروايات . إن قضية الإمام الحسين عليه السلام فوق جميع القضايا الأخرى، فأن يكون لعالم الغيب توجه خاص لمثل هذه القضية وارتباط خاص بها وإعداد خاص . . . هذا شيء لا بأس به، هذا شيء نعتقد به ونؤمن به إلا أن هذا غير ذلك التفسير المحدود الناقص الذي يجعل من القضية حكماً خاصاً مخصوصاً بشخص معين خاص ولا يتجاوز إلى غيره . . . تلك النظرية نظرية غير صحيحة .

◀ النظرية الثانية: التفسير السياسي

هذه النظرية الأولى مع الملاحظات عليها، توجد في قبالها نظرية ثانية على عكسها تماماً تفترض أن القضية كانت

(١) البحار: ٤٤/ الباب ٣٠.

قضية بشرية وأن دوافع القضية دوافع واضحة بشرية اجتماعية وكانت هذه الدوافع عبارة عن الاستيلاء على السلطة وإقامة الحكم الإلهي والإسلامي في الأرض، الإمام الحسين عليه السلام كان يستهدف وكان دافعه من حركته المباركة أن يقيم حق الله ويأخذ الحق الذي اغتصب منه ومن الأئمة عليهم السلام واغتصبه المنحرفون والظالمون فيرجع الحق إلى نصابه.

كان هذا هو الدافع ويقول صاحب هذه النظرية إن الإمام الحسين عليه السلام خَطَّط من أجل الوصول إلى هذه النتيجة وبحسب منطق الأحداث المنطق البشري الاجتماعي الذي يعرفه أهل الحل والعقل كان مخططه أن يستولي على السلطة وكان تخطيطه هذا والمقدمات التي أعدها وأمر بها كانت توصله إلى هذه النتيجة، فكانت حركة الإمام الحسين عليه السلام ثورة على الظلم والطغيان والباطل بقصد الاستيلاء على الحكم، وكان هذا دافعه عندما تحرّك من المدينة إلى مكة وإلى العراق كان دافعه هذا، وبالعلم العادي كان يرى أن هذا الشيء سوف يتحقّق فاندفع، كما أن النبي صلى الله عليه وآله كان يرى أنه سوف يغلب الكفار في غزوة أحد، فاندفع إلى الحرب مع الكفار إلا أنه بحادثة ما انكسر المسلمون

واندحروا في واقعة أحد مثلاً... كذلك الإمام الحسين عليه السلام عندما خرج إلى العراق خروجه كان كخروج النبي ﷺ إلى أحد، وكخروج الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى صفين لمحاربة الأمويين ومعاوية وزمرته.

نفس الدوافع أيضاً كانت موجودة في ضمير الإمام الحسين عليه السلام دفعته إلى أن يتوجه إلى العراق لأن في العراق شيعة له منذ زمن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وبعده، وقبل موت معاوية وبعد موته، طلبوا منه القدوم وكانوا موالين ومتأثرين بمدرسة الإمام علي عليه السلام دعوه إلى الثورة وأن يرفض هذا النظام ويطيح به وكانوا هم مستعدون أيضاً أن يكونوا جنوده فاندفعوا اندفاعاً عقلائياً واضحاً كاندفاع النبي ﷺ والإمام عليه السلام عندما خرج إلى أحد بعد غزوات. إلا أنه شاءت المشيئة الإلهية والصدف والمتغيرات في هذا الاندفاع عندما يصل إلى نهايته أن يمتلئ ببعض المتغيرات فلا يصل إلى النتيجة المستهدفة كما لم تصل معركة صفين إلى النتيجة المستهدفة من قبل الإمام علي عليه السلام، بالعكس كانت النتائج على الإمام بحيث أدت إلى حصول مشكلة الخوارج والنهروان وبالتالي قتل الإمام عليه السلام نفسه، هذا من قبيل ذلك.

هذه نظرية أخرى أيضاً يطرحها بعض الكتّاب الشيعة،
هذه النظرية أيضاً ليست صحيحة بهذا الترتيب وبحاجة إلى
تمحيص.

والحمد لله رب العالمين



المحاضرة الثالثة ١٤٠٣ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تحدثنا في الليالي السابقة عن دوافع ثورة الإمام الحسين عليه السلام وبعد استبعاد التفسيرات الفاسدة والمنافية لمعتقداتنا في حق الأئمة عليهم السلام قلنا إن هنالك ثلاث نظريات وتفسيرات مطروحة أو يمكن أن تطرح لشرح وتبيين دوافع هذه الثورة المباركة، تحدثنا عن النظرية والتفسير الغيبي مع المناقشات التي تقدمت فنتقل إلى التفسير الثاني وهو ما سمّيناه بـ (النظرية السياسية) في شرح دوافع الثورة الحسينية.

التفسير السياسي: يدّعي أصحاب هذا التفسير وهذه النظرية أن التحرك الذي قام به الإمام العظيم كان يخطط من ورائه استلام الحكم والسلطة لإقامة حكم الله في الأرض.

طبعاً لا بدّ أن يعلم ويعرف أن أصحاب هذا التفسير وهذه النظرية لا يريدون من هذه النظرية أن الإمام الحسين عليه السلام كان دافعه التسلّط والتأمر على الناس، فإنّ

هذا خلاف منطق الإمام الحسين عليه السلام ولا يتناسب مع مقام الإمام الحسين عليه السلام وعصمة الإمام الحسين عليه السلام هذا واضح، إنما كان تخطيطه أن يقيم حكم الله في الأرض يستلم السلطة من باب أن استلام السلطة والحكم هو الطريق الشرعي بالنسبة للمعصوم لإقامة حكم الله في الأرض، حيث إن الرسالة، وأحكامها وأنظمتها في زمن المعصوم لا يمكن أن تقوم إلاّ من خلال حاكمية المعصوم وخلافته وحكومته على الناس. . . . فالهدف السياسي وهو استلام السلطة الذي كان يخطط له الإمام الحسين عليه السلام كان بدافع من التكليف الشرعي وبدافع من أداء المسؤولية القيادية الملقاة على عاتق المعصومين. مثل موقف النبي صلى الله عليه وآله حينما كان يتصدى لاستلام السلطة في المدينة وفي مكة لإقامة الحكم الإسلامي في الأرض عندما فتح مكة مثلاً كان يريد أن يتسلط بما هو نبي لا بما هو سلطان، وبما أن هذه السلطة هي الطريق المنحصر بحسب الحقيقة، سيّما في تلك الفترات لإقامة حكم الله في الأرض، إذن فلا ينبغي أن يتصور أن هذا التفسير السياسي يقصد منه أن الإمام الحسين كان ينوي التسلط على الناس بل كان ينوي إقامة حكم الله في الناس. وهو متوقف على أن يكون هو ولي أمر الناس كما كان

تشريعاً وقانوناً هو ولي أمرهم، لابدّ لهذا الولي التشريعي أن يكون ولياً بالفعل وماسكاً بزمام الأمور ومبسوط اليد بالفعل لكي يمكن أن يقوم بأعمال الولاية وأعباء القيادة والخلافة والمسؤولية الملقاة على عاتقه.

إذن فاستلام السلطة كان بدافع التكليف الشرعي وتحمل المسؤولية الرسالية، ويقول أصحاب هذا التفسير: إن الإمام الحسين عليه السلام منذ البداية كان واضحاً أنه من أجل الوصول إلى هذا الهدف، وبما هو إنسان وبشر كان يخطط للوصول إلى هذا الهدف الرسالي وهو استلام السلطة وإرجاع قيادة التجربة الإسلامية إلى أصحابها وأوليائها الشرعيين، وإقامة أحكام الله بالشكل الصحيح الكامل، وكان التخطيط والتحرك من أجل الوصول إلى هذا الهدف، إلا أنه بعد أن مشى في هذا الهدف ووصل إلى العراق نتيجة بعض المصادفات والاتفاقات انعكس الأمر، ولم يصل هذا التخطيط إلى نهايته، بل انقلب أهل الكوفة عليه فانتهى إلى ذلك المصير المأساوي المفجع.

ففرق بين أن نشخص ما هو تخطيط الإمام الحسين عليه السلام وبين أن الإمام الحسين عليه السلام توصل إلى هذه النتيجة أو لم يتوصل؟، ربّما كان تخطيط الإمام ودافعه وتحركه هو الوصول

إلى نتيجة معيّنة، لكنه من خلال التحرك إلى تلك النتيجة في الأثناء ينكشف أن تلك النتيجة لا يمكن الوصول إليها أو تعترض بعض العقبات التي تمنع الإمام عليه السلام من الوصول إلى تلك النتيجة، يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : «عرفت الله بفسخ العزائم، وحل العقود، ونقض الهمم»^(١)، فكون الإمام الحسين عليه السلام خطط للوصول إلى هذه النتيجة، لا يلزم أن هذه النتيجة حتماً سوف تتحقق بدليل أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أيضاً خطط لأن يزيل معاوية من الحكم ويحاربه ويسقطه في حرب صفين، جيش الجيوش وخطط وأخرج الناس إلى صفين ووقعت المعركة وكثر القتلى والضحايا إلا أن النتيجة ماذا كانت؟؟ كانت لصالح معاوية بعد ما اعترض الطريق لعبة معاوية وعمرو بن العاص ومسألة التحكيم ورفع المصحف وكل تلك المسائل.

فالتصدي والتخطيط لاستلام الحكم من قبل إمام ما، لا يعني أن تلك النتيجة لا بدّ وأن تتحقق ربما لا تتحقق تلك النتيجة لأن هؤلاء في عملهم الاجتماعي كما أشرنا إليه لا يخرجون عن الجانب البشري في العمل مع الناس ومن

(١) شرح نهج البلاغة: ٨٤/١٩.

خلال الأمة ومع الأمة لا يخرج النبي أو الإمام عن كونه بشراً ولا يعلم بعلم الغيب والوسائل الغيبية إلا في بعض الحالات الخاصة، بأن يكون هناك توجه إلهي خاص إلى عالم الشهادة فتأتي مبادرة غيبية وتسعف الموقف وإلا فبشكل عام عمل الأوصياء والأنبياء والأئمة في المجتمعات، العمل الاجتماعي والتغير الاجتماعي يكون طبعاً لنفس الأساليب والوسائل البشرية، النبي ﷺ خطط في معركة أحد لحرب المشركين وأخرج الناس إلى هذه الوقعة ومع ذلك النتيجة كانت لصالح المشركين والجيش الإسلامي اندحر فلا يعني عدم النجاح لظروف طارئة أو لخصوصيات أو خلل في الناس أو بعض الجوانب الخارجة عن اختيار النبي أو الإمام المعصوم. إن الإمام لم يكن يخطط، فقضية الإمام الحسين عليه السلام تُشبه بقضية صفين والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وقضية النبي ﷺ في معركة أحد، فالحسين عليه السلام كان مخططاً نتيجة ما كان يعلم به من اكتمال الشرائط اللازمة في الأمة للتحرك ضد السلطة والثورة ضد الطاغين الحاكمين، كان بحسب القنوات التي من خلالها كان يرتبط بالناس بأهل الكوفة والموالين والشيعة، غير أن

الأرضية متغيرة فخطط لذلك، أرسل مسلم بن عقيل ووقع ما وقع في الكوفة، انعكس الأمر مكائد ابن زياد وحيله والدجل الذي مارسه في مقابل مندوبه مسلم الذي لم يقتله غيلة في بيت هاني بن عروة، «تلك الألاعيب الشيطانية»، استطاعت أن تقلب القضية ولا يصل هذا التخطيط الصادر من الإمام الحسين عليه السلام إلى النتيجة، إلا أن الخيبة وقعت في النهاية بعد ما كان الإمام عليه السلام مصمماً على المجيء ومتوجهاً إلى العراق ولهذا وصل إليه هذا الخبر وهو قريب من العراق، هكذا يقول أصحاب هذا التفسير.

وقد حاول أصحاب هذه النظرية أن يستدلوا على هذا التفسير ببعض النصوص الصادرة من الإمام الحسين نفسه عليه السلام، قبل أن ندخل في هذه النصوص توجد نقطة في هذه النظرية أو هذا التفسير تعتبر إيجابية إلى حد ما.

◀ امتيازات التفسير السياسي على التفسير الغيبي:

أولاً: إن هذا التفسير يجعل قضية الإمام الحسين عليه السلام أولاً قضية معقولة اجتماعياً وعلى مستوى الرأي العام معقولة، لا أنها كالتفسير الأول قضية غيبية مبهمة ومن الأمور الخاصة ومختصة بالمعصومين.

وثانياً: من مميزات هذا التفسير عن التفسير الغيبي أنه سوف يكون هناك لقضية الإمام الحسين عليه السلام مدلول روحي ورسالي، يثبت أن المسؤولية الرسالية والتكليف السياسي من جملة التكاليف المتوجهة إلى كل مسلم لأنه يجعل من القضية المأساوية وهذه القضية الكبيرة هدف مشخص واضح سياسي وهو استلام الحكم. ولهذا يثبت للناس أن مسألة استلام السلطة، استلام الإسلام للسلطة، من أساسيات الرسالة وأصول الرسالة والتكاليف الشرعية فليست الرسالة الإسلامية عبارة عن مجموعة تكاليف وأحكام مرتبطة بالجانب الفردي للإنسان، صلاة، صوم، حج وعبادات من هذا القبيل.... بل هناك مسؤوليات أخرى وتكاليف أخرى، هذا التكليف له أولوية على كل التكاليف الأخرى وهو التكليف السياسي والمسؤولية السياسية للإنسان، كل إنسان مسلم كما هو مكلف بأن يصلي ويصوم ويحج عليه أن يقيم حكم الله في الأرض، ويسعى لذلك لكي يكون النظام نظاماً إسلامياً والشخص الحاكم واجداً للحاكمية الإسلامية وطبقاً لمبادئ الإسلام، هذه من المسؤوليات الملقاة على عاتق كل فرد والإمام الحسين عليه السلام لهذه المسؤولية قد تحرك. إذن فهذه المسؤولية من أعظم التكاليف الشرعية،

التكليف الذي يحرك الإمام الحسين عليه السلام ويجعله يعطي وي بذل دمه وأهله وعشيرته ووضعه

إذن يدل على أن هذا التكليف من أصول المسؤوليات الشرعية والتكاليف، بحيث قدّمها الإمام على كل الأعمال الأخرى، والتكاليف الشرعية التي يمكن أن يمارسها لو بقي حياً وترك هذا الجانب السياسي والاجتماعي من وضع الأمة الإسلامية وانشغل كما انشغل البعض الآخر بالصلوات والعبادات في المساجد، اقتصروا على الأعمال الفردية والشخصية ففي هذا التفسير توجد هذه الميزة والإيجابية وهو أن هذا التفسير يعلمنا هذا الدرس، أن الجانب السياسي والعمل الاجتماعي السياسي من أركان الواجبات الشرعية وأي فرد مسلم يجب أن لا يدع هذا الجانب ويتركه ويتصور أن الرسالة الإسلامية لا تضمن إلا الاشتغال بالجوانب الفردية والاجتماعية البعيدة عن الجانب السياسي، هذا المفهوم الذي أوجدته السلطات في أذهان المسلمين، مفهوم الفصل بين الدين والسياسة، ليس مفهوماً جديداً، ليس من المفاهيم التي طرحها الاستعمار اليوم بل قد طرحه بنو أمية، أيضاً تقرأون في التاريخ أنه كانت تأتي الأم والأب

ويأخذون بيد ابنهم ويقولون ما لك وشغل السلاطين كان هذا المفهوم مطروحاً من قبل السلطة الجائرة وهو أن السياسة والسلطة ليست من أمور الدين وليست واردة ضمن مسؤوليات الإنسان المسلم، هذا المفهوم طرحه بنو أمية أيضاً لفصل الدين عن السياسة وجعل الساحة السياسية ملكاً مطلقاً لهم لا يفكر فيها ولا يزاحمهم أحد من المسلمين بدافع التكليف الشرعي، هذا التفسير لقضية الإمام الحسين عليه السلام فيه هذا الامتياز إنه يجعل من القضية السياسية قضية رسالية محورية تتقدم على كل المسؤوليات الشرعية الأخرى وعلى كل الواجبات الفردية الأخرى هذه نقطة من هذا التفسير ولعل صاحب هذا التفسير أصرّ عليه أو بعض من قالوا بهذا التفسير، إنّما أصرّوا عليه من أجل هذه الميزة، وهذا الامتياز وهذه الدلالة هي التي نستطيع أن نستوحيها ونستفيد منها من هذا التفسير لقضية الإمام الحسين عليه السلام، وأمّا الأدلة والشواهد التي يستشهد بها أصحاب هذه النظرية على نظريتهم فكثيرة، من جملة الشواهد... نفس إرسال مسلم بن عقيل إلى الكوفة والإمام الحسين عليه السلام لو كان يريد الاستشهاد وكان يعلم أنّ هذا

الطريق طريق ينتهي به إلى الشهادة، فلماذا بعث مسلم بن عقيل إذاً إلى الكوفة؟؟ وهو سوف يستشهد، بعث رسولاً إلى الكوفة ليفاوض الناس أربعين يوماً وفحص المسألة ودرس وضع الأمة والموالين ثم كتب إلى الإمام الحسين عليه السلام أن الرائد لا يكذب أهله^(١) فاقدم على جندك^(٢). صدق الكتب التي كانت قد وصلت إلى الإمام الحسين عليه السلام قبل إرسال مسلم بن عقيل، إرسال مسلم معناه أن الإمام كان يحتمل احتمالاً قوياً كبيراً أن المسألة مسألة واقعية وأن الأرضية وجدت وأن المسألة مستعدة للقيام بتحرك إسلامي جماهيري قوي يسقط النظام الحاكم على المسلمين هذا واحد من جملة الأدلة والشواهد....

ومن جملة الأدلة التي يذكرونها في هذا المجال التصريحات الصادرة من الإمام الحسين عليه السلام نفسه، وهي كثيرة وجميعها تدل على أن الإمام الحسين عليه السلام كان يستهدف من وراء تحركه هدفاً سياسياً، هذا الهدف بالمعنى الذي أشرنا إليه مثلاً من جملة النصوص الصادرة من الإمام

(١) مثير الأحزان لابن الحلي: ٢١.

(٢) الارشاد: ٣٨. بحار الأنوار: ٤٤/٣٣٤ الباب ٣٧.

الحسين عليه السلام ما ينقله الطبري أنه كتب كتاباً لأهل الكوفة ومن جملة الكتاب هذه الكلمات: «أما بعد فإن الله اصطفى محمداً على خلقه واختاره لرسالته ثم قبضه الله إليه وكنا أهله وأوصياؤه وأحق الناس بمقامه في الناس فاستأثر علينا قومنا بذلك فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق ممن تولاه، وقد بعثت رسولي إليكم مع هذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فإن السنة قد أُميتت وإن البدعة قد أُحييت وإن تسمعوا أمري وتطيعوا قلبي أهدكم سبيل الرشاد»^(١). يقول صاحب هذه النظرية إن هذه الرسالة واضحة في الأدلة على أن الإمام الحسين عليه السلام كان يستهدف الإطاحة بالحكم، وكان الغرض والهدف من حركته إطاحة الحكم الجائر المنحرف واستلام المقام والحق الشرعي الذي هو حقهم، والذي من دونه لا يمكن إقامة حكم الله ولا يمكن تطبيق شريعة الله بالشكل الكامل التام في الطريق.

ومن جملة الشواهد التي يستشهد بها رسالة أخرى بعثها مع شخص آخر عندما تحرك من مكة إلى العراق، أيضاً

(١) تاريخ الطبري ج ٤ : ٢٦٦، البداية والنهاية ج ٨ : ١٧٠.

ينقلها الطبري، (أمّا بعد فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقنا فسألت الله أن يحسن لنا الصنع وأنه يثيبكم على ذلك أعظم أجر)^(١).

واضح أن الرسالة مليئة بالدلالة على أن الإمام الحسين عليه السلام كان يستهدف الإطاحة بالحكم وكان يدعو الله الذين اجتمع شملهم وملاهم واجتمعوا على نصرته وإرجاع حقه إليه، وكلّه تفاؤل وأمل، (وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء بثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية، فإذا وصلكم رسولي فانكم مشوا في أمركم وجدوا، فإنّي قادم عليكم في أيامي هذه)^(٢).

أيضاً يستدلون برسالة أخرى بعثها الإمام عليه السلام مع مسلم ابن عقيل إلى الكوفة، ولعل هذا تكملة الرسالة السابقة... حينما يقول: «قد بعثت رسولي إليكم وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه فإن السنة قد أميتت وأن... إلى أن يقول فإن كتب إليّ قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجا منكم على

(١) تاريخ الطبري ج ٤ : ٢٩٧.

(٢) المصدر السابق.

ما قدّمت به رسلكم، أقدم إليكم إن شاء الله. فلعمري ما لإمام إلاّ العامل بالكتاب والقائم بالقسط والدائن بدين الحق والصلاح».

هذا واضح في أن الإمام الحسين عليه السلام بعث مسلماً من أجل أن يستطلع الوضع ويرى أن الملاء وذوي الحجا هم في الواقع مستعدون للحرب، والنهوض بهذا العبء الثقيل، حتى هو يتحرك أيضاً وقد علّق المسألة على أخبار مسلم، «إذا أرسل لي قد اجتمعت الكلمة سوف أقدم عليكم وشيكاً» يؤكد الكلمة ويعطي المفهوم ويقول: «فلعمري ما الإمام إلاّ العامل بالكتاب» هذا الشخص المتصدي الآن هو يزيد، ليس صالحاً وعاملاً بالقسط يعطي المفهوم الذي أشرنا إليه وهو أن هذا ليس جهة أن يريد أن يكون أميراً عليهم ومتسلطاً وحاكماً، بل من أجل إقامة الكتاب والقسط.

أيضاً يستشهد صاحب هذه النظرية أن للإمام خطبة في يوم عاشوراء في كربلاء عندما يدعو أهل الكوفة الذين كتبوا له الرسائل وبعثوا له الرسل ثم غدروا به.

قال: «... تَبَّاً لَكُمْ أَيَّتْهَا الْجَمَاعَةُ، وترحاً أحيان

استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم وحششتهم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم فأصبحتم إلماً لأعدائكم على أوليائكم من غير عدل أفسوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلاً لكم الولايات تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن والرأي لم يستحصف»^(١).

مما يدلّ على أنّ مجيء الإمام من المدينة كان من أجل إقامة حكم الله في الأرض نتيجة الطلب الذي طلبه، هذه وأمثالها من الشواهد يستشهد بها أصحاب هذا التفسير الثاني (التفسير السياسي) على أن الدافع الحقيقي والسبب الذي من أجله تحرك الإمام الحسين والهدف الذي خطط له في حركته إنما هو إقامة حكم الإسلام والإطاحة بالحكم الطاغوتي.

أنا كنت أتصور أن هذه النظرية من النظريات المستحدثة لكنني في مراجعة لكتاب البحار في الجزء الخامس والأربعين رأيت أن صاحب البحار ينقل مقطعاً عن كتاب تنزيه الأنبياء للسيد المرتضى ويذكر فيه نفس هذا التفسير.

(١) الاحتجاج ج ٢: ٣٤، بحار الأنوار ج ٤٥: ٨ باب ٣٧، تاريخ مدينة دمشق ج ١٢: ٢١٩.

◀ مقطع عن كتاب تنزيه الأنبياء:

قال السيد «قدس سره» في كتاب تنزيه الأنبياء: فإن قيل ما العذر في خروجه «صلوات الله عليه» من مكة بأهله وعياله إلى الكوفة والمستولي عليها أعداؤه والمتأمر فيها من قبل يزيد اللعين منبسط الأمر والتّهي وقد رأى صنع أهل الكوفة بأبيه وأخيه وأنهم غادرون خوانون، وكيف خالف ظنّه ظن جميع نصحاءه في الخروج وابن عباس رضي الله عنه يشير إليه بالعدول عن الخروج، ويقطع على العطب فيه، وابن عمر لما ودّعه عليه السلام يقول له: أستودعك الله من قتيل إلى غير ذلك ممن تكلم في هذا الباب، ثم لما علم بقتل مسلم بن عقيل وقد أنفذه رائداً له، كيف لم يرجع ويعلم الغرور من القوم، ويفطن بالحيلّة والمكيّدة، ثم كيف استجاز أن يحارب بنفر قليل لجموع عظيمة خلفها مواد لها كثيرة؟ ثم لما عرض عليه ابن زياد الأمان وأن يبائع يزيد كيف لم يستجب حقناً لدمه ودماء من معه من أهله وشيعته ومواليه، ولم ألقى بيده إلى التهلكة وبدون هذا الخوف سلّم أخوه الحسن عليه السلام الأمر إلى معاوية فكيف يجمع بين فعليهما في الصّحة؟.

الجواب: قلنا: قد علمنا أن الإمام متى غلب على ظنه

أنه يصل إلى حقه والقيام بما فوّض إليه بضرب من الفعل، وجب عليه ذلك، وإن كان فيه ضرب من المشقة يتحمل مثلها، وسيدنا أبو عبدالله عليه السلام لم يسر طالباً الكوفة إلا بعد توثق من القوم، وعهود وعقود، وبعد أن كاتبوه عليه السلام طائعين غير مكرهين ومبتدئين غير محبين، وقد كانت المكاتبه من وجوه أهل الكوفة وأشرافها وقرائها تقدّمت إليه في أيام معاوية، وبعد الصّبح الواقع بينه وبين الحسن عليه السلام فدفعهم، وقال في الجواب ما وجب، ثم كاتبوه بعد وفاة الحسن عليه السلام ومعاوية باق فوعدهم ومنّاهم وكانت أيام معاوية صعبة لا يطمع في مثلها. فلما مضى معاوية وأعادوا المكاتبه، وبذلوا الطاعة وكرّروا الطلب والرغبة ورأى عليه السلام من قوتهم على ما كان يليهم في الحال من قبل يزيد، وتسلطهم عليه وضعفه عنهم ما قوي في ظنه أن المسير هو الواجب، تعين ما فعله من الاجتهاد والتسبب، ولم يكن في حسبانهِ عليه السلام أن القوم يغدر بعضهم، ويضعف أهل الحق عن نصرته، ويتفق ما اتفق من الأمور الغريبة، فإن مسلم بن عقيل لما دخل الكوفة أخذ البيعة على أكثر أهلها.

ولما وردّها عبید الله بن زیاد لعنة الله عليه وقد سمع

بخبر مسلم بن عقيل ، ودخوله الكوفة وحصوله في دار هانىء ابن عروة المرادي على ما شرح في السيرة وحصل شريك بن الأعور بها ، جاءه ابن زياد عائداً ، وقد كان شريك وافق مسلم بن عقيل على قتل ابن زياد عند حضوره لعيادة شريك وأمكنه ذلك ، وتيسر له ، فما فعل واعتذر بعد فوت الأمر إلى شريك بأن ذلك فتك وأن النبي ﷺ قال : «إن الإيمان قيد الفتك» ولو كان فعل مسلم من قتل ابن زياد ما تمكن منه ، ووافقه شريك عليه لبطل الأمر ، ودخل الحسين عليه السلام الكوفة غير مدافع عنها ، وحسر كل أحد قناعه في نصرته ، واجتمع له من كان في قلبه نصرته ، وظاهره مع أعدائه .

وقد كان مسلم بن عقيل أيضاً لما حبس ابن زياد هائئاً سار إليه في جماعة من أهل الكوفة حتى حضره في قصره ، وأخذ بكظمه وأغلق ابن زياد الأبواب دونه خوفاً وجبناً ، حتى بث الناس في كل وجه يربعون الناس ويرهبونهم ويخذلونهم عن نصره مسلم بن عقيل ، فتقاعدوا عنه وتفرق أكثرهم حتى أمسى في شرذمة وانصرف وكان أمره ما كان .

وإنما أردنا بذكر هذه الجملة أن أسباب الظفر بالأعداء كانت لائحة متوجهة .

وإن الاتفاق السيئ عكس الأمر إلى ما يروون من صبره واستسلامه وقلة ناصرته على الرجوع إلى الحق ديناً أو حمية، فقد فعل ذلك نفر منهم حتى قتلوا بين يديه شهداء، ومثل هذا يطمع فيه ويتوقع في أحوال الشدة.

فأما الجمع بين فعله وفعل أخيه الإمام الحسن عليه السلام فواضح وصحيح، لأن أخاه سلم كفاً للفتنة وخوفاً على نفسه وأهله وشيعته، وإحساساً بالغدر من أصحابه، وهذا عليه السلام لما قوي في ظنه النصرة ممن كاتبه ووثق له، ورأى من أسباب قوة نصار الحق وضعف نصار الباطل، ما وجب معه عليه الطلب والخروج، فلما انعكس ذلك وظهرت أمارات الغدر فيه وسوء الاتفاق، رام الرجوع والمكافة والتسليم كما فعل أخوه عليه السلام، فمنع من ذلك، وحيل بينه، فالحالان متفقان إلا أن التسليم والمكافة عند ظهور أسباب الخوف لم يقبلأ منه عليه السلام ولم يُجب إلى المودعة وطلبت نفسه عليه السلام فمنع منها بجهدته حتى مضى كريماً إلى جنة الله سبحانه وتعالى ورضوانه وهذا واضح لمتأمله انتهى^(١).

إن هذا التفسير يرجع إلى التفسير الأول الذي شرحناه

وهو التفسير الغيبي، على كل حال هذا التفسير هو التفسير الثاني بحسب تسلسل العناوين التي بينها.

◀ التحفظات تجاه التفسير السياسي:

هذا التفسير رغم ما فيه من امتياز أشرنا إليه، ورغم الشواهد التي يمكن أن تذكر وذكروها، لتثبيت هذا التفسير لدوافع ثورة الإمام الحسين عليه السلام رغم ذلك ممّا لا يمكن المساعدة عليه كذلك باعتبار عدة خصوصيات وعدة ملاحظات:

الملاحظة الأولى: إن هذه الشواهد التي يذكرها هؤلاء قسم منها قابل للتفسير على أساس تفسير ثالث وعلى ضوء نظرية ثالثة وهي النظرية التي سميناهم بالنظرية التاريخية الرسالية، هذه النصوص صحيح فيها دلالة على أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يطرح أمام الناس وللناس مفهوم أنّ الحق لا بدّ وأن يرجع إلى أهله وأنّ الحاكمية والخلافة لا تكون إلّا لأهلها، وأنّ هؤلاء الحكّام ظلمة لا يقيمون كتاب الله ولا يقيمون القسط في الأرض ولا بدّ وأن يعاملوا وأن يسقطوا عن هذا المنصب الذي أخذوه ظلماً وعدواناً. إلّا أنّ هذا لا يعني أنّ الدافع الحقيقي للإمام الحسين عليه السلام كان

منحصرأ بهذا، ولا يعني أنّ الإمام الحسين عليه السلام منذ تحرّكه يتصوّر أو يظن ظناً قوياً أو يعلم علم اليقين سوف لا يستشهد... هذه النصوص وهذه الكلمات كلّها قابلة للتفسير على التفسير الثالث لأنّ الإمام الحسين عليه السلام حتى إذا كان مصمّماً على أن يقوم بعملية واقعها الانتحار والاستشهاد لغرض سوف نشرحه في النظرية الثالثة، لغرض جعل الأمة تاريخياً في مسارها الصحيح، أيضاً لا بدّ وأن يعطي لحركته معنى معقولاً ويبيّن لحركته وثورته مغزى رسالياً إسلامياً ليبيّن الحقيقة فإن حقيقة المحنة والمشكلة كانت مشكلة الجانب السياسي والاجتماعي من حياة الناس لأنّه في تلك الفترة الأمة كأفراد كانوا يطبقون الأحكام الشرعية، كانوا يصومون ويصلّون ويحجّون... كما قال لهم معاوية: «أيها الناس ما حاربتكم لتصوموا وتصلّوا وتحجّوا». فعن سعيد بن سويد قال: صلى بنا معاوية بالنخيلة الجمعة في الضحى ثم خطبنا وقال: ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلّوا ولا لتحجّوا ولا لتزكوا، قد عرفت أنكم تفعلون ذلك. ولكن إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم فقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون^(١).

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨: ١٤٠، مقاتل الطالبين: ٤٦.

كانوا في زمن معاوية يصومون ويصلّون فالتكاليف والأحكام الفردية في تلك الفترة كانت مقامة.

نعم هذا الخط القيادي المنحرف كان يؤدي إلى أن الرسالة حتى في جانبها الفردي سوف تمسح على الخط الطويل إلا أن المشكلة الوقتية في تلك الفترة بالذات لم تكن بادئة في الجانب الفردي وفي مقابل الأحكام الفردية بل كانت في الجانب السياسي، وهذه حقيقة كانت موجودة في تلك الفترة وهي مشكلة الأمة الإسلامية، أو مبدأ المشكلة ومبدأ انحراف الأمة الإسلامية والإمام عليه السلام كان يعرف أن هذه المشكلة وهذا الانحراف سوف لن ينتهي إلا إلى مسح كل الشريعة وكل جوانبها فهو عندما يطرح المشكلة الحقيقية، يطرح الإسلام الحقيقي للانحراف، يطرح المبدأ الحقيقي للأغراض في التجربة الإسلامية والأمة الإسلامية، هذا لم يكن شيئاً على خلاف الواقع وعلى خلاف المسؤولية الشرعية فهو يطرح أن هذا سوف لن يتحقق بالفعل، لأنه هو في تحركه سوف لن يستطيع أن يرجع قيادة التجربة الإسلامية والجانب السياسي للرسالة الإسلامية يرجعه إلى نصابها، لكنه كونه يعلم أنه سوف لن يرجعه إلى هذا النصاب لا

يجب أن يطرح، لا، لا بدّ أن يطرح ويبين للناس أن هذه العملية التي سوف يقوم بها في أجل هذا المبدأ الأساسي الذي هو في الواقع روح الإسلام، ومن دون هذا الحكم وهذا الجانب لا يمكن للرسالة أن تحكم، إلّا بعمليات من هذا القبيل، هي تحكم الرسالة، كما حكمت في السابق.

إذن فكونه يطرح مفهوم الحاكمية وأن الحق لا بدّ أن يرجع إلى أهله وأن الإمام ليس مثل العامل في كتاب الله والمقيم بالقسط، هذه المفاهيم التي كان يطرحها، والشعارات التي كان يطرحها لحركته، عنواناً لحركته وثورته، هذه الشعارات لا بدّ وأن تطرح على كل حال حتى ولو كان يعلم بأنه سوف يستشهد، لا بدّ وأن يطرح هذه المفاهيم من أجل أن ينبه الأمة إلى منشأ ومبدأ وأساس الخطر وأهمية هذا الأساس، وأن هذا الحق الذي ضيّع من قبل هؤلاء والحق الذي الأمة أيضاً مساهمة في تضييعه، هذا الحق سوف يؤول إلى تلك النتائج الخطيرة، تضييع الحق، لا بدّ وأن يفهم الأمة بذلك، ولا بدّ أن يطرح الحق أو يستشهد ولا يقدم الله له أنه هو بنفسه يمارس عملية القيادة وعملية الإمامة للأمة الإسلامية، فمن جانب يوعي الأمة على هذا المفهوم ويبين

للأمة أن الخطر من أين أتى به؟ وأن الأمة من أين تؤكل؟
والرسالة الإسلامية... يبين هذه الأمور، وفي نفس الوقت
بين أمراً واقعياً وصحيحاً ولعله بعلمه العادي لا بعلمه الغيبي،
بعلمه العادي كان يظن ويرجح في نظره أنه يستشهد، هناك
احتمال ضعيف أنه لا يستشهد، وأنه قد يتحقق اتفاق معين
والأمة تستطيع أن تنهض وترجع له زمام التجربة الإسلامية،
هذا الاحتمال لو كان موجوداً يساعد أن يطرح هذا المفهوم
سيما وأنهم هم الذين ربونا وعلمونا، أن الله سبحانه وتعالى
قد يفدي في بعض الأمور، كما فدى الله إسماعيل... ﴿يَمْحُوا
اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١) فلعله أنه قد ينتهي
ولو احتمال ضعيف قد يتوفق في مسك زمام الحكم وإقامة
حكم الله بل كان من الضروري أن يطرح هذا الشيء، هذه
الشعارات وهذه المفاهيم... لا تدل على أن التخطيط كان
تخطيطاً لاستلام الحكم فقط ولم يكن هناك أي منظور آخر
للإمام عليه السلام وأي هدف آخر، وأن الإمام عليه السلام لم يكن
يحتمل احتمالاً قوياً أنه سوف يستشهد، لا قد يحتمل أو يتيقن
بحسب العلم العادي.

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

والمشاورات التي شاورها لبعض الصحابة والأصحاب كان يظن أنه سوف يستشهد مع ذلك يطرح هذه الشعارات حتى تكون هذه الشعارات مربية للأمة وموعية للأمة على المسؤولية الإسلامية وعلى أن الخطر من أين يأتي وأن الانحراف في هذا الجانب له آثار ونتائج وخيمة جداً على أصل الرسالة، وكان لا بدّ أن يطرح، هذا ما يرجع إلى الشواهد التي يستشهدون بها، كل الشواهد مهما كثرت، لا تعني أن الإمام لم يكن مثلاً - ما يريد أصحاب هذه النظرية - أنه سوف يستشهد أو كان ضعيفاً احتمال استشهاده كان القوي في نظري أنه سوف يتوفق في الإطاحة بنظام الطاغية يزيد وسوف يحكم الأمة الإسلامية، حتى على الجانب الآخر هذه التصريحات صحيحة.

الملاحظة الثانية: يوجد شواهد على عكس أصحاب هذه النظرية يذكرون قسماً منها، لكنهم يحاولون أن يناقشوا فيها، التصريحات الواردة عن الإمام الحسين عليه السلام، «شاء الله أن يراني قتيلاً» «من رحل معي استشهد» وهكذا كلمات يناقش فيها صاحب هذه النظرية يناقش في سندها ويحققها تاريخياً، إلى أن يصل إلى هذه النتيجة أن هذه الروايات ليس

لها أصول صحيحة، إلا أننا نحن بحسب الحقيقة لا نحتاج إلى تصحيح لهذه الروايات التي تنقل عن الإمام الحسين عليه السلام والتي تدل دلالة صريحة على أنه سوف يستشهد في هذا الطريق، بحسب تصور أصحاب هذه النظرية وهناك شواهد أخرى من جملة الشواهد، طبيعة الجريان الذي يقع إذا درس إنسان طبيعة الجريان يستطيع أن يستخلص شواهد على أن الإمام الحسين عليه السلام على الأقل يظن إن لم يكن يتيقن بالنتيجة أن هناك استشهاداً، وكان في نظره كسب المظلومية وإيجاد ما يدل أمام جمهور المسلمين أن هؤلاء المستولين على الأمور، على مستوى كبير من الأجرام والجناية والبعد عن الإنسانية، فضلاً عن الإسلام والمبادئ الإسلامية لو يلاحظ إنسان جريان القضية، يجد أن الإمام الحسين عليه السلام مثلاً يخرج معه أهله، أطفاله، كل أفراد أخيه... يأخذهم إلى الكوفة، إذا كان له غرض سياسي ويخطط تخطيطاً دقيقاً كما يقول صاحب هذه النظرية ويظن ويقطع أنه ينجح في عمله السياسي، فالأطفال معه والنساء... فهؤلاء ليس لهم دور في هذا التخطيط وهذا الهدف السياسي، نعم هؤلاء يمكن أن يكون لهم دور في تحقيق الهدف الذي تعينه النظرية الثالثة أو التفسير الثالث

وهو إيجاد النتيجة المأساوية على مستوى كل المبادئ والتصورات تهز مشاعر جميع الناس وتسقط اعتبار الحاكمين والمتسلطين أمام كل منطق وكل التصورات.

فإذا كان الهدف هذا، فهذا يتوقف أن يأخذ معه أطفاله وعياله ويشحن في المسألة كل ما يمكن أن يزيد في الطين بلة ويزيد في المأساة مأساة أو يكسب المظلومية الحقيقية للإمام الحسين عليه السلام ويبرز الأعداء على مستوى أبشع المجرمين وأبشع الناس، هذا النحو والترتيب الذي كان موجوداً في قافلة الإمام الحسين عليه السلام، يشهد على أن الذي كان من منظوره أنه على الأقل ربما يستشهد إن لم يكن مقتنعاً أنه سوف يستشهد وأنه سوف يضطر إلى أن يقوم بهذا الدور، إذا لم يكن مقتنعاً منذ البداية فلا أقل هذا كان شيئاً وهدفاً منظوراً له، إنه إذا لم يقدم الله سبحانه وتعالى له النجاح يتنزل إلى الهدف الثاني إيجاد تلك الهزة ويدخل معه إلى المعركة، كل هذه الأمور التي تزيد مأساوية القضية وبشاعة المجرمين ومن هذا يهتز ضمير الأمة حقيقة هذا من الشواهد، ومن الشواهد عدم التراجع بعد العلم بمقتل مسلم ابن عقيل، لو كان واقعاً له هدف سياسي فقط، بالمعنى

الذي شرحناه، فهو قد علم في الطريق أنّ مسلماً قتل ويستطيع أن يتراجع، لأنّ الهدف انتهى إذا كان له تخطيط استلام الحكم وكانت حركته وخطواته متجهة إلى هذا الشيء فقط، بحيث لو كان يعلم منذ البداية سوف لن يصل إلى النتيجة لم يكن يتحرك، إذن فبعد أن علم في الأثناء، وانتهى إليه غدر أهل الكوفة بمسلم بن عقيل، وقتل مسلم كان لا بدّ وأن يرجع لأنّه في غير الكوفة لم يكن له مطيع، نعم في البصرة كان له بعض الموالين ولكن إلى أن وصلوا إلى الكوفة وعبيدالله بن زياد استطاع أن يقتل مسلماً وهو في الكوفة ويستولي على الأمر، إذن فهو أقدر على الاستيلاء على البصرة ومن يأتي منها، فعلى القاعدة إذا كان هدفه منحصراً في هذا التفسير كانت القاعدة أن يرجع ويترك الأمر... هذا أيضاً من الشواهد، عدم تراجع بعد علمه بمقتل مسلم بن عقيل، وبعد تأكيد الفرزدق عليه بتلك الكلمة المعروفة: «قلوبهم معك وسيوفهم عليك»^(١) وأنّ الإمام عليه السلام لم يكذب قوله، فكان عليه أن يتراجع، فلم يتراجع كان في منظوره هدف أكبر من هذا، لم يكن ينظر إلى مسألة الحكم

(١) إحقاق الحق ج ٢٧ : ٢٠١ . الأمالي : ٩٣ .

والحاكمة بلحاظ تلك الفترة الزمنية المحدودة في التاريخ الإسلامي كان له نظر أبعد، كان ينظر إلى كل أزمنة الأمة الإسلامية وتاريخ الأمة الإسلامية، وذاك متوقف على عملية أخرى تشرحها النظرية الثالثة هذا أيضاً من الشواهد ومن جملة الشواهد على هذا الموضوع أنّ الإمام الحسين عليه السلام عندما تراجع التاريخ لسيرته عليه السلام نجد أنه بادر بهذا العمل بعدما واجه الضغوط من حكام بني أمية في المدينة، لم يبادر بنفسه إلى هذا العمل، أولاً وجهت إليه الضغوط أنّه لا بدّ أن يبايع يزيد حتّى كلّف يزيد والي المدينة أنّه إذا لم يبايع يضرب عنقه، بعدما واجه ضغوط من هذا القبيل من قبل السلطة الجائرة الحاكمة، تحرّك هذه الحركة، هذا يدل

وأيضاً هناك كلمات صادرة من الإمام الحسين عليه السلام تبين أن هؤلاء سوف لن يتركوني، أنّ بني أمية سوف لن يتركوني إلّا أن يخرجوا هذه العلقه من جوفي^(١). أن يقتلوه، هذه تعبيرات واردة من الإمام الحسين عليه السلام، فهذا معناه أنّ تحرّكه في الواقع منطلق من هذه النقطة أنّ هؤلاء سوف

(١) الارشاد: ٧٦، الكامل في التاريخ ج ٤: ٤٠. البحار: ٤٤ / ٣٧٤.

يقتلوه ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة، كما كتب من بعثه يزيد إلى مكة، حتى لو كنت متعلقاً بأستار الكعبة سوف يقتلني بنو أمية... انطلق من هذه النقطة، بينما لو كان له هدف إقامة حكم إسلامي بالنحو الذي يقوله أصحاب هذه النظرية، لأن الشروط كانت موافية ولأن الشيعة والموالين للإمام الحسين عليه السلام كانوا مؤهلين كما كاتبوه وراسلوه، فهذا يقتضي أن يتحرك سواء أراد بنو أمية أن يقتلوه أو لا، بينما الإمام الحسين عليه السلام يحسب هذه التصريحات وحسب ما وقع في تأريخه بدأ حركته بعد ما واجه الضغوط وبعد ما علم أن هؤلاء الطواغيت سوف يفتكون به على أي حال ويطلبون منه إمّا أن يبايع أو يقتل، فليس أمامه إلا أحد خيارين، إمّا أن يترك الأمة ويذهب إلى منطقة نائية أو غيرها ويصبح إنساناً مجهولاً، وهذا خلاف أصل المسؤولية الشرعية الملقاة على عاتق كل إنسان، فهذه مسألة من يرجح أصالة السلامة ويرجح سلامة نفسه على سلامة أمتة ويترك الأمة ويذهب إلى منطقة نائية بعيدة، أو الخيار الثاني أن يستشهد بهذا الشكل أو يقوم بالهدف التاريخي، وشواهد أخرى من هذا القبيل بإمكان الإنسان أن يستخلصها من مسيرة الإمام عليه السلام وكلماته تدل أو ترجّح أن الإمام الحسين عليه السلام منذ أن تحرك

من المدينة ومكة كان قد نصب أمام عينيه فكرة أن هذه الحركة سوف تنتهي إلى الاستشهاد وهذه المسألة مسألة الشهادة والتضحية الجسيمة على هذا المستوى، هذه كانت منظورة لديه ﷺ وكانت أمام تمام غرضه وهدفه أو على الأقل أحد الهدفين لو فرض أنه لم يقدر الله سبحانه أن ينجح في استلام الأمر على الأقل كان هو التكليف الترتيبي الثاني الذي كان مكلفاً به أيضاً من قبل الله سبحانه وتعالى والرسالة الإسلامية وكان لهذا الاستشهاد ولهذه النتيجة دورها التاريخي الذي نشره في النظرية الثالثة.

والحمد لله رب العالمين



المحاضرة الرابعة ١٤٠٣ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السلام على الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أنصار الحسين ورحمة الله وبركاته . . هذه الليلة هي ليلة عاشوراء ليلة الذكرى الأليمة العظيمة في تاريخ الإسلام تلك الذكرى التي تصور لنا كيف أن البشرية التي خُلقت من نفس واحدة يمكن أن تصل إلى قمة الكمال في جانب وأن تنتهي إلى منتهى الحضيض في الجانب الآخر، هذه الذكرى، تصور لنا القطبين في مسيرة البشرية وكيف لهذا الإنسان، لهذا الكائن والمخلوق من أصل واحد وطينة واحدة كيف يمكن لها نتيجة التربية وإرادة نفسها أن تصعد وتتسامى إلى حيث يعجب الكائنات الأخرى جميعاً إلى حيث انتهى إليه الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه في تاريخ هذه الذكرى وأيضاً نفس هذا الإنسان نفس هذا النوع من الإنسان يمكن أن تصل به شقوته أن ينتهي إلى أرذل المستويات المتصورة في هذه

الأرض كما انتهى إليه القطب الآخر، هذه الذكرى فيها من المعاني المتناقضة، نجد كيف أن هذه المعاني المتناقضة، الكمال وأروع القيم في جانب ومنتهى الخسّة والدناءة في جانب آخر، وكلاهما صادرة من الإنسان.

◀ النظرية الثالثة: التفسير الرسالي:

كنا نتحدث في الليالي السابقة حول تفسير حركة الإمام الحسين عليه السلام، وتحدثنا بالأمس عن التفسير السياسي لهذه الحركة، طبعاً بالمعنى الرسالي للسياسة، أي السياسة من أجل إقامة حكم الله، وقلنا إن هذا التفسير رغم ما فيه من الامتيازات والنقاط الإيجابية ليس هو التفسير الذي يعكس تمام الواقع وتمام الحقيقة في قضية الإمام الحسين عليه السلام.

هذا التفسير تفسير جزئي ومرحلي، يجعل من هدف الإمام ومن دافع الثورة الحسينية، دافعاً محدوداً، رغم أنه دافع شرعي صحيح يستحق أن يبذل في سبيله الدم، إلا أن الدافع الذي نحن نتصوره لهذه الثورة المباركة أعمق وأوسع من هذا وبالمقدار الذي تسمح الفرصة في هذه الجلسة لنا أن نشرح أبعاد هذه الفكرة نقدم بعض المقدمات لتوضيح هذه النظرية.

◀ لا بدّ من تحويل المفاهيم الذهنية إلى إيمان قلبي:

الأمر الأول: إن الأفكار والمفاهيم والقيم الكمالية والرسالية والإنسانية، هذه إذا ما بقيت على مستوى المفهوم والنظرية وفي وفق عالم الذهن والعقل والإدراك، لا تستطيع أن تحرك الإنسان لا بدّ لأي مفهوم لأية فكرة صحيحة يراد منها أن تكون محرّكة للإنسان نحو عمل، نحو موقف، نحو سلوك، أن ينزل هذا المفهوم وتنزل الفكرة من عالم الإدراك الذهني المجرد إلى عالم القلب والعاطفة والوجدان... لأن الذي يحرك الإنسان إنما هو القلب، ليس العقل المجرد، القلب ما يسميه علم النفس حب الذات، هو الباعث والمحرك الأساسي لكل شيء، فالمحرك هو دائماً ما يعبرون عنه (بحب الذات)، هو الشوق والحب والعاطفة، لا الفكرة المجردة، فأى فكرة مهما كانت صحيحة وسليمة وقوية من الناحية النظرية المجردة لا تكفي سلامتها النظرية وصحتها النظرية إذا أريد من ورائها أن تكون فكرة فاعلة مؤثرة مغيرة لحياة المجتمع لا يكفي لها أن تكون سالمة وصحيحة من الناحية النظرية لا بدّ وأن تكون قابلة لأن تنزل إلى عالم وجدان الفرد، وجدان الإنسان وتتحول الفكرة إلى شوق

وحب وتوجه من قبل هذا البعد من أبعاد الإنسان الذي نحن نعبر عنه بالقلب، هذه مقدمة شرحناها في ليلة من الليالي وهناك قلنا لماذا نجد أن الأنبياء استطاعوا أن يغيروا التاريخ ويغيروا البشرية، لكن الفلاسفة لم يستطيعوا أن يغيروا التاريخ بالرغم مما عندهم من الأفكار والاستدلالات المجردة والمصطلحات لعلها لا تقل عن كتب الأنبياء وأحاديث الأنبياء، أو بعض الأنبياء على الأقل مع ذلك لم يستطيعوا أن يغيروا الإنسانية تغييراً جوهرياً أساسياً مشهوداً في تاريخ البشرية بمقدار ما غير الأنبياء ومن أحد العوامل لهذه الظاهرة في الواقع هو أن الفلاسفة يتكلمون مع العقل المجرد ولا يتمكنون من النزول من عالم العقل إلى عالم القلب ليناجوا ويناغوا قلوب ومشاعر وأحاسيس الناس ووجدان الناس وفطرتهم، هذه مقدمة.

◀ لا بدّ من قدوة مجسّدة حسية في تربية الإنسان:

الأمر الثاني: إن الإنسان يتأثر لكونه حسياً بالمحسوس أكثر من تأثره بالمعقول، يتأثر بالقدوة المجسدة أمامه أكثر مما يتأثر بالمفهوم الخالص، أنت تجد أنك تارة تبين لشخص تريد أن تربيته وتنصحه وترشده، تعطيه مفهوماً من

المفاهيم افرض مفهوم الأمانة، أن يكون الإنسان أميناً، مفهوم المواساة، مفهوم التضحية في سبيل المبدأ، تارة تشرح له هذه الفكرة كمفهوم، تبين له أن الخيانة من الصفات الرذيلة والأمانة من الصفات القيّمة الحميدة وهكذا تشرح له معنى المواساة، هذا التأثير لا يبلغ تلك المرتبة التي تنقل له قصة إنسان أو حكاية إنسان، هذا الإنسان قام بعمل بموقف المواساة إنه واسى إنساناً مظلوماً، عندما تنقل له تلك الحكاية وتلك الواقعة، تجد أن درجة التأثير ودرجة التربية سوف تتضاعف وتتزايد، لماذا؟ لأنه هناك سوف يواجه أمامه إنساناً وقدوة سوف يجد أمامه واقعاً مجسداً في الخارج، بينما في الحالة الأخرى لا يوجد غير مفهوم ونظرية، وكم من فرق بين أثر النظرية والمفهوم وبين أثر القدوة والتعبير الخارجي، وهذه تنشأ من النزعة الحسية في الإنسان، القدوة معناه هناك شيء محسوس ملموس أمامه تأثير الإحساس وانجذاب الإنسان وتأثره به أكثر بكثير من القضية المفهومية المفرغة عن التجسيد الخارجي، هذا أيضاً مسألة ثابتة ولهذا تجدون الأئمة عليهم السلام يؤكدون أنه كونوا دعاة للناس بغير ألستكم ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير فإن

ذلك داعية^(١)، النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام لعلنا نستطيع أن نقول إنه بنسبة ٨٠٪ من تأثيرهم على البشرية كانت من خلال تجسيدهم ومن خلال القدوة التي جسدها لهم من خلال سلوك الواقع المجسد الذي كان يمارسه النبي والإمام والوصي والإنسان الصالح في المجتمع الذي كان يعيش فيه، أمّا إذا افترض أنه كان يقتصر في مقام تغيير المجتمعات وتربية الأجيال على مجرد التعبيرات والتنظيرات والمفاهيم والكليات والقضايا لم تكن مؤثرة إلّا بنسبة ٢٠٪ ولعلّها في بعض الأحيان لا تكون مؤثرة أصلاً، أي تأثير، هذه حقيقة تنشأ مما أشرنا إليه من النزعة الحسية في الإنسان وتأثر الإنسان في المحسوس أكثر من تأثره بالقضايا المعقولة المفهومة، هذه أيضاً مقدّمة من المقدّمات الثابتة.

◀ مرض الفتور في إرادة الأمة الرساليّة وروحانياتها:

الأمر الثالث: هو أنّ هنالك مرضاً وبيلاً تبتلى به أكثر الرسائل وأكثر الحضارات البشرية إذا استعرض الإنسان الحضارات يجد أنه قد لا تشذ حضارة بشرية ولا رسالة

(١) الوسائل ج ١٥ : ٢٤٦، ح : ١٣.

سماوية منها، حتى الرسائل قلنا فيما سبق إنّ الرسائل السماوية أيضاً من خلال الطرق والوسائل البشرية تريد أن تغيّر المجتمعات، لا من خلال وسائل غيبية، ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلِيسُونَ﴾^(١).

هناك مرض وخطر يحدق بأية أمة تبدأ نهضتها ونموّها بعد فترة هناك مرض وبيل ينتشر في عروق الأمة، عادة وغالباً إن لم يكن دائماً، هذا المرض هو أن أيّ رسالة في بداية أمرها لها جذوة ودفعة معيّنة في نفوس الموالين لهذه الرسالة، قبل بروز الرسالة وشخصها في الخارج واستيلائها على مقاليد الأمور، هناك حالة من الأمل الروحية تدفع الناس إلى أن يضحوا في سبيل تحقيق الرسالة التي اعتقدوا وآمنوا بصحتها، بعد فترة عندما تتحقّق هذه الرسالة وتحكم، يوجد هناك مرض بشري من خلال نقاط الضعف الموجودة في التركيب البشري، سوف يدبّ هذا المرض في عروق الأمة الرسالية، لأن البشر كأفراد عندهم نقاط ضعف كثيرة، عندهم أهواء، أساساً الإنسان معجون من الترابية والسماوية، وهناك عنصر مهم في وجوده وهو عنصر الأهواء

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩.

والنزوات والشهوات والمسائل التي تتشعب من جانب النفس الأمارة بالسوء. هذه المداخل للضعف في النفس البشرية في هذه الأمة تبدأ في التفاعل في البروز والشخص للاستيلاء على الأمة كأمة في داخل جسم الأمة كموجود واحد، أيضاً تبدأ هذه الأهواء تتفاعل وتصعد وتبرز إلى السطح، وحينئذ تبدأ حالة الفتور في الأمة الرسالية، تجد الأمة الرسالية تبتي بنفسها بهذه الخصوصيات التي في المرحلة الأولى مرحلة تأسيس الأمة لم تكن هذه الخصوصيات والتفاعلات موجودة بهذه الدرجة، بعد مرور مرحلة التأسيس تبدأ نقاط الضعف البشرية والشيطانية وتبرز الأهواء وتتفاعل وتحاول أن تسيطر على الوضع، هذا مرض لا ينجو منه البشر والأمة الرسالية، وهذا المرض ليس مرضاً مرتبطاً بالجانب المفهومي بقدر ما هو مرتبط بالجانب النفسي والإرادي من وجود الإنسان، ليس هذا ناتجاً من أن المفهوم غير واضح، إن الرسالة أسست ومفاهيم ومعالم الرسالة ثبتت، هذا ينشأ من المداخل النفسية في أفراد الأمة، نقاط الضعف النفسية والروحية الموجودة في قسم من هؤلاء، تبدأ النقاط بالتعامل والحركة إلى أن تؤدي إلى أن تصبح الأمة الرسالية فاقدة لتلك الحالة من الاستعداد النفسي التي كانت مستعدة لها في

بداية أمرها ، حينما كانت متوجهة نحو تأسيس أصل الرسالة والحضارة التي آمنت واعتقدت بها ، هذه حالة تنتاب المجتمعات البشرية حتى المجتمعات التي رسالتها صحيح هي رسالة ربانية ، إلا أن أفرادها بشر ، فلهم نفس نقاط الضعف الموجودة في سائر الناس ، رغم التربية الرسالية والربانية فإن هذه التربية ربما لا تستطيع في بداية أمرها إذا لم تكن قيادتها ربانية معصومة إلى فترة طويلة من الزمن أن تقتلع كل جذور هذه المشاكل وهذه الأمراض من نفسها ، وهذا أيضاً أمر ثالث .

◀ تفسير سيدنا الشهيد الصدر لدوافع الثورة الحسينية:

من مجموع هذه الأمور نستطيع أن نخرج بتفسير لقضية الإمام الحسين عليه السلام كان يذكره سيدنا ومولانا الشهيد الإمام الصدر «قدس سره» الذي كانت قضيته أشبه القضايا في وقتنا ، وعصرنا الحاضر بقضية الإمام الحسين عليه السلام كان يردد هذا التفسير بشكل وآخر بين حين وآخر كان يقول : إن الإمام الحسين عليه السلام كان يواجه خطراً من هذا القبيل في المجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية في حياته .

الأمة الإسلامية بعد أن ربّاه النبي صلى الله عليه وآله وأسس الرسالة

فيها أسسها كأمة إسلامية رسالية، هذه التفاعلات النفسية ونقاط الضعف تفاعلت وتمخضت عن مسألة السقيفة عندما يدرسها الإنسان يجدها في الحقيقة ليست إلا عبارة عن بروز عوامل الشر وعوامل الهوى وعوامل حب السلطة والإمرة في نفوس المسلمين الذين يتحركون بين يد النبي ﷺ في القتال وفي الجهاد، إلا أن تلك الطاقة الحاررية والروحانية التي كانت موجودة لديهم، هذه الطاقة بعد وفاة النبي ﷺ وحيث أصبحت الأمة أمام إغراء الإمرة والسلطة وهي محنة وابتلاء عظيم، هذه النفوس التي كانت ضعيفة ولا تزال غير مرتبة تربية كاملة أخذت تتفاعل هذه النزعات والأهواء فيها فبرزت مسألة السقيفة وحرقت قيادة الأمة الرسالية والرسالة بالشكل الذي تعرفونه، هذا التحريف أدى إلى أن يتشوش مفهوم القيادة الإسلامية نتيجة أن هؤلاء الذين دبّ هذا المرض فيهم واستحوذ الشيطان عليهم وأغرتهم السلطة وأدت هذه الإغراءات أن يغتصبوا الحق عن أهله، والمسألة كانت بعدُ في بداية أمرها، وهؤلاء كانوا من الصحابة والأجلاء بحسب الظاهر، تكويناً كان هذا مشوشاً طبيعياً لمسألة الحكم والنظرية الإسلامية في الحكم والقيادة والسياسة، ففي الواقع كان كثير من الناس يعتقدون أن ما وقع كان إسلامياً لأن

هؤلاء هم صحابة رسول الله ﷺ وهم الذين من خلالهم نأخذ الروايات والأحاديث عن رسول الله ﷺ ففعلهم كأقوالهم كما أن أقوالهم تكون معتبرة في نقل الحديث النبوي، إذاً ففعلهم الخارجي يكون معتبراً، كان هناك مناشئ لأن يقع هناك تشويش، ووقع التشويش فعلاً، في أصل مبادئ الإمامة والولاية وتشويش في نوع الحكم وصيغة الحكم الإسلامي، ومشى التشويش أكثر من هذا، بحيث إن أعمال عثمان في خلافته التي كانت واضحة أنها خلاف أوليات الإسلام، مع ذلك كانت تحمل على نصحه في البداية لأنه خليفة، يجتهد مثلاً، فتارة يخطئ فيكون معذوراً عند الله، هذه المفاهيم بدأت تشوش الذهنية وتشوش أصل الرسالة، وأصل هذا البعد من الجوانب الرسالية الإسلامية الجانب المرتبط بقيادة الأمة وبكيفية الحكم في الأمة الإسلامية.

هذه المشكلة كانت مشكلة فترة ما قبل الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام فترة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هذه المشكلة استطاع الإمام علي عليه السلام بحكمه في الفترة القصيرة أن يصون الرسالة منها ويدفع خطر هذا المرض

المفهومي الذي كان يدبّ في نفوس الأمة الإسلامية والتي كانت تؤدي إلى تشويه هذا الجانب من الرسالة، من خلال حكمه الناصع من خلال السنوات الأربع استطاع أن يضرب ويقدم المثل الأعلى لشكل الحكم الإسلامي العادل، والعدالة السياسية والاجتماعية في الإسلام، ولذلك تجدون منذ البداية كان الإمام عليه السلام حدياً مئة بالمئة إلى درجة قد يتصور أنه تطرف، فالعناوين الثانوية لم تكن بأي وجه من الوجوه يعملها الإمام عليه السلام، لا تجدون في حياة الإمام السياسية والاجتماعية أي أعمال للعناوين الثانوية، قيل له أنت الآن لا تعزل معاوية وتمضي أو تسكت على الأقل عن تعيينات عثمان للدولة إلى أن هؤلاء يعترفون بخلافتك ويباعونك بعد ذلك أن يبايع معاوية مثلاً تستطيع أن تعزله، بعد أن أخذت منه البيعة لا يمكن أن يخالف لأنه سوف يناقض نفسه ولا الأمة أو أهل الشام يقبلون منه هذا الشيء، فطرح عليه الزبير أو طلحة أو شخص آخر، طرح عليه عناوين من هذا القبيل، لكن الإمام عليه السلام لم يقبله منذ اللحظة الأولى، ذلك ولم يراهن ولم يجامل ولم يجر على يديه أي حالة يمكن أن تفسر بهذا الشكل، منذ البداية حاول

أن يعطي العنوان الأولي والصيغة الإسلامية الصحيحة للحكم الإسلامي العادل والقيادة الإسلامية العادلة، لماذا؟ لأنه كان يريد بعمله الذي يجسده في الخارج بحكمه كان يريد أن يدفع تلك الجهات والتشويشات التي كانت قد أصيبت الرسالة الإسلامية بها نتيجة السقيفة، ونتيجة الأعمال التي قام بها الخليفة الأول والثاني ثم خرّقها الخليفة الثالث، تلك الأمور التي شوشت الذهنية الإسلامية وشوشت صورة الحكم الإسلامي لو كان الإمام عليه السلام أيضاً يعمل العناوين الثانوية لما كان قادراً أن يصحح ما وقع، الناس عرفوا بطلان تلك الصورة وأنها ليست إسلامية من القيادة والحكم، من خلال التطبيق الكامل الحدي الأولي لسياسة القيادة الإسلامية التي جسدها الإمام في فترة حكمه، هذه مشكلة الإمام علي عليه السلام والتي عالجها عليه السلام بهذا الشكل ودفعها، وكان موفقاً في علاجه بهذا المقدار والإمام الحسن عليه السلام، ماذا كانت مشكلته؟

المشكلة التي امتحن وابتلي بها، مشكلته مشكلة زيف معاوية الذي كان يمتلك من السمعة التاريخية المزيفة وتاريخ الصحبة مع النبي ﷺ وحشيات أخرى من هذا القبيل وكونه

من قبل الخلافة الراشدة، أمام الناس كان يظهر بمظهر أحد الصحابة، الإمام علي عليه السلام أحد الصحابة هذا أيضاً أحد الصحابة، نعم الإمام عليه السلام أفضل منه وأرفع منه وأكثر منه علماً ومسائل من هذا القبيل، إلا أن هذا صحابي وذاك صحابي فأمام الناس قابل لأن يلتبس ويشتبه بينهما ومعاوية كان يستطيع بدهائه أن يشوش على ذهنية الأمة الإسلامية من هذه النقطة ويجعل من القضية كأنها قضية صراع بين صحابين مثلاً أو صراع بين قبيلتين من القبائل المنتسبة معاً إلى المسلمين وإلى قريش وإلى رسول الله ﷺ يتصارعان على الحكم فلا فرق بينهما، إلا أن هذا من الفخذ الهاشمي وذاك من الفخذ الآخر، هذه الشبهة كانت تنطلي على الناس وهذا التشويش كان له سوق بين المسلمين، وكان معاوية بنفسه ممن يروجون هذا التشويش للناس، بحيث بات الإنسان الذي يخرج مع الإمام الحسن عليه السلام ليحارب معاوية لا يدري أكثر من أن هذه الحرب دافعها الحقيقي أن يأتي الإمام الحسن عليه السلام بدلاً عن معاوية ويحكم واحد من بني هاشم بدل بني أمية، بعد لم تكن مكشوفة أمام الناس الأبعاد الحقيقية لهذا الشخص أو لهذا الخط الذي كان يريد أن يحكم صلح الإمام الحسن عليه السلام بحسب الحقيقة دافعه كان

كشف حقيقة أوراق معاوية بن أبي سفيان وخط معاوية، ولولا هذا الصلح لما انكشفت هذه الحقيقة ولم تكن الأمة تستطيع أن تعرف أن المسألة ليست مسألة هذا الصحابي وذاك الصحابي وهذا الشخص وذاك الشخص، هذا الإنسان الذي من هذا الفخذ من قريش وذاك الإنسان الذي من الفخذ الآخر من قريش، صلح الإمام الحسن عليه السلام استطاع أن يكشف هذه الحقيقة، إذاً بعد إتمام الصلح أمام الناس أصبحت صورة القيادة وشكل الحكم الإسلامي واضحاً، من ناحية طبيعة الحكم والممارسات التي يقوم بها الحاكم، وأيضاً من ناحية الحاكم، هذا كمفهوم أصبح واضحاً بين أبناء الأمة الإسلامية نتيجة ما قدمه الإمام علي عليه السلام من المواقف في السنين الأربع من الحكم وما فعله الإمام الحسن عليه السلام في مسألة الصلح مع معاوية، معاوية الذي يأتي بعده مباشرة إلى الكوفة ويقول كلمته المشهورة: أنا ما حاربتكم لتصوموا وتصلوا إنما حاربتكم لأتأمرّ عليكم إلى أن قال: وكل شرط شرطته للحسن تحت قدمي هاتين^(١)، بهذا الشكل السافل الصريح يبين أن تمام غرضه وهدفه هو السلطة

(١) الغدير ج ١١ : ٧. شرح نهج البلاغة ج ١٦ : ١٥.

وحب السيطرة على الناس، أصبح واضحاً من خلال ممارساته بعد ذلك مع شيعة الإمام علي عليه السلام، مع قتله وسفكه للدماء الطاهرة والصراعات والفتن يفتعلها بين القبائل وبين الناس هذه المسائل كلها انكشفت خلال العشرين عاماً الذي كان يحكم المسلمين ظلماً وجوراً، كانت هذه القضايا بالتدريج قد أصبحت واضحة أمام الناس، ذاك الشخص الذي مثلاً كان يخرج مع الإمام الحسن عليه السلام لمحاربة الشام وهو متردد أنه لماذا يريد أن يحارب، الآن صار واضحاً لديه يريد أن يحارب خط معاوية وهذا الموضوع لا يمكن إعطاؤه في اليوم الأول لأصحاب الإمام الحسن عليه السلام بالمفهوم الكامل، عندما صالح الإمام الحسن عليه السلام وانحسر سياسياً وأخلى الساحة لهذا الطاغية الذي كان مبرقعاً ببرقع الإسلام وصحبة النبي ﷺ وأنه كاتب الوحي . . . وهذه الكلمات التي استطاع معاوية بدهائه وذكائه أن يرسمها حول شخصيته في ذهن الأمة الإسلامية، في تلك الفترة لم يكن بالإمكان توضيح هذه الحقيقة وإنما هذه الحقيقة أوضحت بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام وخلال الفترة التي حكم فيها معاوية.

إذاً ففي عهد الإمام الحسين عليه السلام صورة القيادة الإسلامية وطبيعة القيادة الإسلامية وشرائط القائد الإسلامي والإمام عليه السلام أصبح أمام الذهن الجمعي للناس والوضع الاعتيادي للأمة الإسلامية واضحاً، ماذا كانت المشكلة إذاً؟ كانت هناك مشكلة أخرى ومرض آخر بدأ من حيث انتهى معاوية كان هناك مرض آخر، استطاع انحراف السقيفة أن ينتهي إليه، هذا المرض هو أن معاوية خلال الفترة التي حكم فيها صحيح أن أعماله كانت تكشف واقعه أمام الناس وهو لكونه حاكماً وبيده قدرات وإمكانات هائلة دخل من مدخل آخر وهو مدخل إفساد ضمائر الناس، بحيث أصبح هذا الإنسان رغم علمه أن هذا الطريق هو الحق وذاك هو الباطل، قد أفسد ضميره وإرادته بالمغريات والترغيبات من جانب وبالترهيب وبالقتل من جانب آخر، كلكم تعلمون أن زياداً كان من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وكان والي فارس من قبل الإمام علي عليه السلام وإذ ينقلب هذا الرجل إلى عدو لدود للإمام عليه السلام ولخطئه، ما الذي قلبه بعد استشهاد الإمام عليه السلام؟ لم يقلبه اختلاف المفاهيم والتصورات الإسلامية، قلبه في الواقع المغريات والترغيبات

التي قدمها له معاوية والتي كان منها إلحاقه بأبي سفيان، هذه الأشياء أثرت على شخصيته فانقلب عن موالاته الإمام عليه السلام بل عمن نصبهم الإمام، فالإمام عليه السلام لا ينصب إنساناً فاجراً فاسقاً منحرفاً وعندما نصبه كانت شخصيته عادلة، له درجة لازمة من العدالة، وإذا انقلب هذا الإنسان من شخصية منصوبة من قبل الإمام عليه السلام إلى شخصية يعادي بها الإمام أشد العدا، هذا العدا لم يكن من ناحية مفهوم التبس عليه، بل من ناحية أن ضميره اشتري وإرادته اشترت، الإنسان له جانبان، جانب فكر مجرد وجانب عواطف وشهوات وأهواء ومطامع هذا الجانب غير الجانب الأول ربما الإنسان الأول في الجانب الأول لا يكون مريضاً يعرف النظريات الصحيحة إلا أن الجانب الثاني فيه يكون مريضاً، رغم معرفته أن هذا هو الحق يده لا تتحرك باتجاه الحق، بل تتحرك باتجاه الهوى والمطامع وهو يعرف أن هذه الحركة ليست هي الصحيحة، ليست هي الحق وفي طرف الحق بل في طرف الباطل، رغبة النفس شهوة النفس تدفعه إلى أن يتجه هذا الاتجاه.

معاوية استطاع أن يفسد هذا البعد الثاني في الأمة

الإسلامية إفساداً كاملاً، استطاع من خلال أساليبه الترغيبية والتهريبية أن يفسد هذا الجانب، إذا راجعتم التاريخ ترون أنه قام في هذه الفترة فترة العشرين سنة، بأشياء عجيبة وغريبة في هذا المجال، استطاع في الواقع أن يفسد بها أكثر أفراد الأمة الإسلامية إلّا من بقي ومن عصمهم الله وبقي على صلة بالأئمة وبكتاب الله، أو كان مشرداً أو مقتولاً. وهذا الوضع يشبه وضع الأمة الآن في العراق^(١). . . كيف أن صدام بأساليبه الجهنمية واقعاً اشترى أناساً لم يكن يتصور أن هذا إنسان يمكن أن يشتري من قبل صدام، بماذا اشتراه؟ لم يستدل على أحقيته في الحكم من الإمام الخميني حتى المعمم المنحرف الذي اشتراه لم يكن منحرفاً قبل هذه الفترة، الآن أصبح منحرفاً ومحسوباً على هذا الجانب بماذا اشتراه؟ لم يشتره بإعطاء مفاهيم التبست عليه وواقعاً اعتقد أن صدام بريء وهو على حق، والجمهورية الإسلامية هي التي على باطل، بل اشترى ضمير هذا الإنسان من خلال المطاعم والإغراءات أو من خلال التهيب أو القتل والتنكيل والتشريد، من خلال القوة أو من خلال المادة. . . بأحد

(١) حيث كانت هذه المحاضرات أيام الطاغية المقبور.

الشكلين اللذين يرجعان إلى هذا البعد من الإنسان جانب حفظ النفس ورغبات النفس وشهواتها البشرية عن هذا الطريق ومن خلال هذا الباب استطاع أن يفسد الأمة باعتباره حاكماً وليس فرداً، فهو يمكن أن يغير الأمة كأمة كموجود واحد غيره كما غيره معاوية حيث استطاع بهذه السنين التي حكم فيها أن يقوم بهذا الدور الإفسادي في الأمة.

فالإمام الحسين عليه السلام تولى الإمامة وهو يجد أمامه أمة خائرة في إرادتها، عالمة بأن الحق مع الإمام الحسين عليه السلام لكنها متميعة في ضميرها ذليلة تلهث وراء المصالح الشخصية والمقامات والعطاءات التي كان يعطيها الوالي أو الخليفة، وراء هذه المسائل، تجدون في محاورات الإمام الحسين عليه السلام مع عمر بن سعد في يوم عاشوراء، بماذا يستدل عمر بن سعد، إن لي ضياعاً كذا، . . . استدلالات واهية، هو يعرف أن الإمام الحسين عليه السلام ابن بنت رسول الله ﷺ ولا يشك في هذا ويعرف أن الإمام الحسين عليه السلام ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أحق بالخلافة من يزيد لعنه الله سيما وأن يزيد شخصية معروفة مكشوفة ليس من قبيل معاوية، ليس له صحبة معاوية مع رسول الله، ليس له

تاريخ معاوية . . . كل هذا كان واضحاً للمسلمين جميعاً، بما فيهم قتلة الإمام الحسين عليه السلام وقواد قتلة الإمام الحسين عليه السلام أمثال عمر بن سعد، إلا أن الذي كان يمنعه ضياعه يريد ملك الرّي مثلاً، هذا يعني أن الضمير قد أفسد فساداً كاملاً من قبل الجهاز الحاكم استطاع هذا الجهاز أن يفسد حقيقة ضمائر المسلمين ويحول هؤلاء من ناس يملكون إرادتهم وعندهم حالة من الترفع من المغريات والشهوات إلا أنهم أناس ذليلون قد استعبدتهم الشهوات حق الاستعباد، هذه الحالة المرضية التي كان يواجهها الإمام الحسين عليه السلام، هذه الحالة المرضية لا يكفي في مقام إصلاح الأمة وتخليصها منها إلا أن يتكلم بهذه المفاهيم والنظريات، هذه المفاهيم كلها مفهومة لهم أي مفهوم تقوله لهم هم يعرفونه، مثل هؤلاء تكون المفاهيم واضحة لديهم لا التباس فيها، يقول له الفرزدق: «قلوبهم معك» يعرفون أنك أحق ولا نقاش فيه، فإعطاء المفاهيم وبيان الإيديولوجيات والمسائل الأخرى، كلها لا تكون مفيدة في حق أمة مريضة بهذا المرض الوبيل، هذه الحالة المرضية الخطيرة والتي هي من أخطر الأمراض، هذا آخر مرض وبيل

وسرطاني تبتلى به الأمم الرسالية جميعاً، وهو مصدر شقائها وبلائها بالتسافل والانحطاط، هذا المرض الخطير تجد له آثاراً كبيرة في تاريخ هذه الأمة، ومستقبل أجيال هذه الأمة، مثل هذا الخطر لا يمكن أن يعالج إلا من خلال تجسيد عملية من العمليات التي يقبل بها أي ضمير إنساني مهما تسافل هذا الضمير ومهما انتكس، لأن العملية أفجع منها وفجاعة العملية وشراسة العملية أقوى من كل شيء، عملية من هذا القبيل تستطيع أن تنقذ الموقف، ولو بعد فترة من الزمن، وإلا فهذا المرض سوف يستشري ويتفاقم أكثر فأكثر وينتهي بالأمة رأساً ولا تبقى بعد انتهاء الأمة رسالة، يسري إليها وإلى مفاهيمها وقيمها المرض وتنتهي الرسالة وتنحرف كما انحرفت كثير من الرسالات السماوية السابقة، مثل هذه الحالة لا يمكن علاجها إلا من خلال ضرب مثل رائع من أمثلة الترفع عن الأهواء والشهوات، وإن الإنسان كيف ينبغي أن يقدم مصالح الآخرين والقيم التي لا بد أن يطبقها في حق الآخرين يقدمها على كل ما يملك، ما يملك كثير وعظيم بالنسبة لما يملكه الآخرون من خلال عملية فيها منتهى التضحية، الإنسان يضحي لا فقط بنفسه، بمقام اجتماعي

كبير، كل تاريخ الوجاهة والزعامة في الأمة، يضحي بأهله وأولاده وأمواله بكل هذه الأمور التي كلها امتيازات واعتبارات مادية واجتماعية كبيرة يتنازل عنها جميعاً من أجل هذا المستضعف وذاك المستضعف، والإمام الحسين عليه السلام عطاءاته كانت تصله من قبل الخليفة أو والي الخليفة موجود في تاريخ والي معاوية ويزيد، إنهم كانوا يعاملون الأئمة معاملة من ناحية مادية ويحاولون أن يعطوهم عطاءات لعلها أكثر من الآخرين باعتبار أنهم قرشيون أولاً وهم من بني هاشم ثانياً وذوو اعتبارات ووجاهة اجتماعية ودينية كبيرة ثالثاً، لم يكن الإمام نفسه من ناحية وضعه الشخصي والمادي في ضيق، حتى من قبل الحاكمين لم يكونوا يظلمونهم في العطاءات والصلاة، يقول والي المدينة بعد ما بلغه مقتل الإمام الحسين عليه السلام صعد المنبر وأخذ يقول: كنا نصله ويقاطعنا، ونصله ويقاطعنا أكثر ونحن نعطيه أكثر عطاءً كان مستمراً له، من الناحية المادية لم يكن الإمام الحسين عليه السلام في ضيقة، كان وضعه جيداً، لعله أجود من الناس المتعارفين كان يملك ما يملكه الإنسان المتعارف الجيد كما هو واضح من خلال عطاءاته ومسائله الأخرى،

مع ذلك هو يتنازل عن هذا الوضع المادي والاجتماعي الجيد والزعامة الجيدة، يتنازل عن أكثر من هذا عن دمه ودم إخوانه وعشيرته من أجل ذاك الإنسان الذي يظلم في العطاء، الإنسان الذي يذوق الآن وبال الحكم المنحرف حكم بني أمية، هذا الشخص الآخر عندما يجد أن الإنسان العظيم قد تنازل عن كل هذا في سبيله، إذا كان له أدنى مراتب الإنسانية الموجودة في ضمير كل كائن إنساني ومخلوق إنساني نراه يتكهرب بهذا، ويقول عجيب أن هذا الإنسان يضحى بكل ما عنده من الزعامة والإمكانات والوضع من أجلي، وأنا أبقى لاصقاً بهذا الإغراء وذاك الإغراء، وأذهب وراء هذا الشخص وذاك القائد الأموي، لا يستسيغون هذا الوضع بعد، هذا وسيكون هذا العمل وهذا الإنسان قدوة عملية رائعة من ناحية، ثم الجانب المأساوي الموجود في التضحية، الجانب المأساوي الذي كان الإمام الحسين عليه السلام دقيقاً في التخطيط له، بحيث حتى الطفل الرضيع يخرج إلى المعركة وفي كيفية المعركة، عندما كان يخرج إلى المعركة كان يلبس عمامة رسول الله ﷺ ويشبه نفسه برسول الله ﷺ وهيئة رسول الله ﷺ،

خصوصيات هذا الإنسان يجدها في تاريخ القضية ومشاهد وفصول هذه الملحمة الكبرى، يجد الإمام الحسين عليه السلام الجانب المأساوي أيضاً كان يخطط له، إذاً لم تكن المسألة مسألة أن يستولي على الحكم ويغلب يزيد ثم انعكس الأمر باتفاقات ومصادفات سيئة غير متوقعة، كان هناك تخطيط دقيق للجانب المأساوي لأبشع صورة ممكنة، حتى تكون هذه الصورة تفوق إحساس كل ضمير إنساني، مهما كان هذا الضمير منتكساً في الرذيلة، هذه الصورة لمأساويتها البالغة تهزّ ذاك الضمير وتغلب حالة الخور والجمود والخدر التي ابتليت بها ضمائر الأمة الإسلامية منذ أن هؤلاء الذين بالأمس قاموا بهذه المأساة بشكل وبآخر أو ساهموا فيها، إما شاركوا مع الجيش أو جلسوا في بيوتهم، أو هربوا إلى البساتين وخارج الكوفة، تجدون أن المأساة عندما انتشرت فصولها ومشاهدها وأخبارها هؤلاء كلهم بدأت ضمائرهم التي كانت خائرة ميتة خوفاً من سطوة ابن زياد، أو أموال عبيد الله بن زياد، أو إرهاباته وترغيباته، هذه الضمائر انتهت وتحركت، ما الذي حرّك هذه الضمائر؟ هذا الجانب الذي كان مجسداً في وضع الإمام الحسين عليه السلام لم يسمح للإمام

الحسين عليه السلام أن يحرك هذه الضمائر بالمفاهيم، قلنا إن الإنسان حسي يحتاج أن يكون أمامه قدوة، ثم هذا التحريك لضمير الأمة لم يكن يقتصر على تلك الفترة، الإمام ينظر بنظرته العادية كقائد رسالي يحتاج إلى علم الغيب بنظرته بما هو يتحمل رسالة خالدة خاتمة لكل الرسالات السماوية، ينظر لمستقبل أبنائها ومستقبل هذه الأمة، لا بدّ وأن يجعل مع هذه الرسالة قدوة صالحة دائمة على طول التاريخ تصلح هذه القدوة المجسدة في عمله وثورته أن تحرك وتهزّ ضمائر الناس عندما تبتلّى بهذا المرض، وهي دائماً تبتلّى بهذا المرض كلما ابتلت ضمائر الأمة بمثل هذا المرض، تبقى قضية الإمام الحسين عليه السلام هي الرائدة وهي الدواء الحقيقي لهذا المرض، ولحد الآن تجدون الأمة الحائرة ما الذي يحركها، حتى في العراق قضية الإمام الحسين عليه السلام رغم هذا الخور الموجود في الأمة تجدون مسألة الأربعين تهزهم وتحركهم بوجه الطغاة تعطيهم قدرة بحيث تحركهم ويبذلون ما في دمائهم في سبيل أن يذهبوا إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين، هذا معناه أن هذه الحركة وهذه الثورة وهذه القدوة التي جسدها الإمام الحسين عليه السلام

إلى الأبد هي فوق كل الضمائر المنتكسة والحائرة والمخدرة... تستطيع أن تهزها، فيها من الخصوصيات ما تهزها وتستطيع أن توقظها، طبعاً كل مورد بحسبه ومقداره وكلما تستغل هذه القضية بشكل أفضل - كما استغلها الأئمة عليه السلام بعد الإمام الحسين عليه السلام - يمكن أن يكون تأثيرها أفضل، لأن القضية قدوة تبقى فوق كل الحالات المرضية التي يمكن أن يتلى بها ضمير الإنسان سيما وأن هذه القضية فيها من المظلومية ومن المأساوية ما يمتزج مع قلب أقسى الناس، مهما يكون الإنسان قاسي القلب، هذه القضية تفوق قساوته، قلنا إن القيم والمفاهيم عندما لا تنزل من عالم المفاهيم إلى عالم القلب، ولا تمتزج مع الأحاسيس والمشاعر ولا تحرك العاطفة فلا تحرك الإنسان، المحرك الحقيقي إنما هو هذا الإحساس، وإنما هو هذه العواطف والإرادة النابعة من القلب والشوق.

إذن المقدمات الثلاث التي أشرنا إليها تظهر دورها في شرح ما يمكن شرحه لهذه النظرية، إذاً فالإمام الحسين عليه السلام كان دافعه ومنظوره في هذه الحركة والثورة المباركة أن يقتلع هذا المرض، وأن يعطي العلاج الناصع

الصريح لهذا المرض الذي دائماً تبتلى به الأمم، حتى الأمم
الربانية وحتى الأمم التي صنعتها الأنبياء تبتلى بهذه الحالة
بعد زمن، نتيجة ضعف البشرية نفسها، فيها أهواء...
تركيبتها وخلقتها هذه... تبتلى بمثل هذا المرض دائماً ولا
يكون العلاج إلا بمثل هذه القضية، قضية الإمام
الحسين عليه السلام سوف تبقى ذات دوافع تاريخية وزمنية، ليست
محدودة بالفترة التي عاشها الإمام الحسين عليه السلام.

غفر الله لنا ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
المحاضرة الأولى (١٤٠٣هـ)	٧
دوافع الثورة الحسينية	٩
التفسير الأول	١٢
النظريات المطروحة إسلامياً في قضية الإمام الحسين <small>عليه السلام</small>	٢٥
المحاضرة الثانية (١٤٠٣هـ)	٢٨
النظرية الأولى : التفسير الغيبي	٢٨
التحفظات حول التفسير الغيبي	٣٣
الملاحظة الأولى	٣٣
الملاحظة الثانية	٣٧

الملاحظة الثالثة	٣٩
النظرية الثانية: التفسير السياسي	٥٥
المحاضرة الثالثة (١٤٠٣هـ)	٥٩
امتيازات التفسير السياسي على التفسير الغيبي	٦٤
مقطع عن كتاب تنزيه الأنبياء	٧٣
التحفظات تجاه التفسير السياسي	٧٧
المحاضرة الرابعة (١٤٠٣هـ)	٨٩
النظرية الثالثة: التفسير الرسالي	٩٠
لا بد من تحويل المفاهيم الذهنية إلى إيمان قلبي	٩١
لا بد من قدوة مجسدة حسية في تربية الإنسان	٩٢
مرض الفتور في إرادة الأمة الرسالية وروحياتها	٩٤
تفسير سيدنا الشهيد الصدر لدوافع الثورة الحسينية	٩٧
الفهرس	١١٧